

الملاحك إلى التفسير الموضوعي

تأليف

أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحُمَيْصِي

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم



دار ابن الجوزي

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

المَدْخَلُ إِلَى التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ

تَأليفُ

أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المَلَاخِيكُ
إِلَى التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ



ح إبراهيم صالح الحميضي ، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميضي ، إبراهيم صالح

المدخل إلى التفسير الموضوعي / إبراهيم صالح الحميضي

الدمام ، ١٤٣٧ هـ

١٩٢ ص : ٢٤×١٧ سم

ردمك : ٦-٢٤٦١-٢-٦٠٣-٩٧٨

أ. العنوان

١- القرآن التفسير الموضوعي

١٤٣٧ / ١٠٤٠٠

ديوي ٦، ٢٢٧

رقم الإيداع : ١٤٣٧ / ١٠٤٠٠

ردمك : ٦-٢٤٦١-٢-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة (مزيدة ومنقحة)

(١٤٤٣ هـ)

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٣ هـ ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو الكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

المملكة العربية السعودية:

الدمام: حي الريان- شارع عثمان بن عفان- ت: ٨٤٢٨١٤٦- ٨٤٦٧٥٩٣- ٨٤٦٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤- الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦- الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض: ت: ٥٩٢٦٦٤٤٩٥- جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء: ت: ٥٨٨٣١٢٤- جدة: ت: ١٠٢٦٠١٠٦٣- جوال: ٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان: بيروت- ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر: القاهرة- تليفاكس: ٠٤٤٣٤٤٩٧- جوال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

الموقع الإلكتروني: www.aljawzi.Net البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

Twitter : @aljawzi

instagram : @aljawzi

Whatsapp : ٠٠٩٦٦٥٠٣٨٩٧٧١

Facebook : دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

مَقَاتِلَاتُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فإن من الأساليب المعاصرة في تفسير القرآن الكريم: التفسير الموضوعي، فقد انتشر في هذا الزمن، وصار له منهج خاص في العرض والكتابة، وألفت فيه رسائل وأبحاث كثيرة، حتى لا يكاد يوجد موضوع قرآني إلا وفيه رسالة علمية أو كتاب أو بحث مختصر، كما كتبت مؤلفات ورسائل عديدة في تفسير السور القرآنية تفسيراً موضوعياً.

وهو أسلوب جيد نافع، سواء كان في مجال الكتابة أم في مجال المحاضرة، ولا سيما في علاج القضايا المعاصرة وبيان هدي القرآن فيها.

وحينما توليت تدريس مقرر «التفسير الموضوعي» في الجامعة، وفي بعض الدورات العلمية القرآنية، لم أجد كتاباً مختصراً محرراً يناسب الطلاب ولا سيما المبتدئين، حيث إن المؤلفات فيه - وهي كثيرة كما يأتي في المبحث الثالث - لا تخلو من نقص في مسائل التأصيل، أو طول في جانب التمثيل، أو استطراد في العرض والمناقشة والنقد، ومنها ما فيه مبالغة في بيان منزلة هذا الأسلوب، وتهوين من شأن الأساليب الأخرى في التفسير.



ولذلك رأيت الحاجة داعيةً إلى كتابة مقدماتٍ تأصيليةٍ مختصرةٍ وافيةٍ بمسائلة، مع ذكر أمثلة تطبيقية كذلك.

فاستعنت بالله، وكتبت هذا المختصر، وسَمَّيْتُهُ: (المدخل إلى التفسير الموضوعي).

وقد جعلته في قسمين:

القسم الأول: التأصيل، واشتمل على سبعة مباحث، ذكرتُ فيها: تعريفَ التفسير الموضوعي، وأهميته، ونشأته، وأهم المؤلفات فيه، ومجالات البحث فيه، والخطوات الإجرائية لكتابته، كما تعرّضتُ لبيان مبحثين لهما علاقة وطيدة بالتفسير الموضوعي وهما: علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي، والوَحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وهي وافيةٌ بمعايير الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، مع إضافاتٍ مُهمّةٍ.

والقسم الثاني: التمثيل: وذكرت فيه ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: دراسة موضوع قرآني دراسة موضوعية.

والمثال الثاني: دراسة سورة قرآنية دراسة موضوعية.

والمثال الثالث: دراسة مفردة قرآنية دراسة موضوعية.

واكتفيتُ بها تخفيفاً لحجم الكتاب، واكتفاءً بالأمثلة التطبيقية المتنوعة التي يُفترضُ أن يقومَ بها الدارسُ للكتاب، تحت إشراف أستاذ مختص.

وهنا أحب التنبيه إلى أهمية العناية الكبيرة بجانب التطبيق العملي لمنهج الكتابة في هذا اللون، من خلال تدريبات وبحوث مختصرة أو متوسطة، داخل قاعة الدراسة وخارجها؛ حيث إن اكتساب مهارة



الكتابة فيه لا تتم إلا بالممارسة العملية.

وقد سلكتُ في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، والتزمت بإجراءات البحث العلمي المعروفة، فعزّوتُ الآيات إلى سورها، وخرّجتُ الأحاديث والآثار، ووثقتُ النُّقول من مصادرها الأصلية، وضبطتُ الغامض، واختصرتُ الحديث، مع تسهيل العبارة، كما وضعتُ أهدافاً عامةً للمقرر، وأضفتُ خرائطَ ذهنيةً لتوضيح موضوعات الكتاب واستظهارها، وختمتُ كلَّ قسمٍ بأسئلة وتدريبات عملية.

وفي الختام، أحمد الله تعالى على ما منَّ به عليّ من إتمام هذا البحث، كما أشكر الزملاء الذين تفضّلوا بمراجعته قبل صدوره، وأرجو من إخواني القراء، ولا سيما الأساتذة الذين يتولون تدريسه الإفادة بما يجدونه من ملحوظات، وما يرون إضافته من مسائل وتنبهات.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل، كما أسأله أن يجعلنا من أهل القرآن المتبعين له، وأن يجعله حجة لنا وشفيعاً يوم لقاءه. إن ربي قريب مجيب.

كتبه

أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحُمَيْضِي

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في جامعة القصيم

١١/٣/١٤٣٧هـ

ib1430@gmail.com



أهداف مقرر التفسير الموضوعي

يهدف هذا المقرر إلى إكساب الدارس المعلومات والمهارات اللازمة للكتابة في التفسير الموضوعي، ويُفترض أن يكون الطالب بعد دراسته هذا المقرر قادرًا على:

- ١ - أن يُعرّف التفسير الموضوعي لغةً واصطلاحًا.
- ٢ - أن يُبيّن مراحل نشأة التفسير الموضوعي.
- ٣ - أن يذكر أهم المؤلفات في التفسير الموضوعي.
- ٤ - أن يُبيّن مجالات التفسير الموضوعي المختلفة، وآراء الباحثين فيها.
- ٥ - أن يجمع الآيات الواردة في الموضوع القرآني، ويصنّفها.
- ٦ - أن يوضّح علم المناسبات، ويوظّفه في التفسير الموضوعي.
- ٧ - أن يُعرّف الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ويبيّن علاقتها بدراسة السورة القرآنية.
- ٨ - أن يستطيع الكتابة في التفسير الموضوعي كتابةً سليمة، وفق الخطوات والضوابط المنهجية المتّبعة.
- ٩ - أن يوظّف أسلوب التفسير الموضوعي في تقريب معاني وهدايات القرآن الكريم للناس، وتنزيل دلالاتها على الواقع.



القسم الأول التأصيل

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي .

المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي وفوائده .

المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي وأهم المؤلفات فيه .

المبحث الرابع: مجالات التفسير الموضوعي .

المبحث الخامس: خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي .

المبحث السادس: علم المناسبات وعلاقته بالتفسير الموضوعي .

المبحث السابع: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .







المبحث الأول

تعريف التفسير الموضوعي



أولاً: التعريف اللغوي:

- التفسير الموضوعي: مركب وصفي من كلمتين: تفسير، موضوعي.
- والتفسير في اللغة: الإيضاح والبيان، والكشف عن المغطى^(١).
- وفي الاصطلاح له تعريفات كثيرة، من أوضحها وأجزها: بيان معاني القرآن الكريم^(٢).
- والموضوعي: نسبة إلى موضوع، مأخوذ من الوضع، وهو إلقاء الشيء في المكان، أو إثباته فيه^(٣)، سمي بذلك لأن المفسر هنا يبيّن أو يلزم معنى معيناً لا يتجاوزه حتى يفرغ من بيانه، ويتتبع الآيات

(١) انظر: مقاييس اللغة ٢/٣٥٥، ولسان العرب ٦/٣٤١٢.

(٢) أصول في التفسير لابن عثيمين ص ٢٨.

وعرفه الكافيّجي بقوله: «هو كشفُ معاني القرآن، وبيانُ المراد». التيسير في قواعد التفسير ص ١٢٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط ٣/١٢٤، والمعجم الوسيط ص ١٠٣٩، وليس المراد المصطلح المعاصر للموضوعية: وهي العدل والنزاهة في الحكم على الآراء.



الواردة في شأنه^(١).

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

هناك عدّة تعريفات للتفسير الموضوعي، منها ما يقتصر على مجال واحد من مجالاته، ومنها ما يشمل مجالاته، ومنها ما هو أقرب إلى الوصف والشرح وبيان إجراءات البحث فيه، ومن تعريفاته المختصرة ما يلي:

- «بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة، أو سور متعددة»^(٢).

- «علم يُعنى بالكشف عن موقف القرآن من قضية ما، في ضوء ما يتصل بها من آيات، ضمن منهج ذي مجالات وخطوات»^(٣).

- «الكشف الكلي عن مراد الله ﷻ في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية»^(٤).

وقد عرّفته بقولي:

- هو الكشف الكلي عن موضوع من موضوعات القرآن، وفق منهج مخصوص.

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٢٣.

(٢) وهذا تعريف أستاذنا الدكتور مصطفى مسلم، انظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ص ١٢.

(٣) وهذا تعريف الأستاذ الدكتور زيد بن عمر العيص، انظر: التفسير الموضوعي بين التأصيل والتمثيل ص ٢٠.

(٤) وهذا تعريف الدكتور سامر رشواني، انظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص ٤٥.

والمراد بالكشف الكلي: البيان الشامل للموضوع، وهذا القيد يُخرج الكشف الجزئي الذي يتمثل في التفسير التحليلي. وقولي: وفق منهج مخصوص؛ يعني: أن هذا التفسير الكلي يكون وفق طريقة وخطوات معينة، يلتزم بها الباحث. ولعل هذا التعريف يُدخل مجال البحث في السورة القرآنية؛ فإنه كشف كلي لأغراضها وموضوعاتها، وفق منهج خاص لدراساتها.

ثالثاً: أساليب التفسير وصلة التفسير الموضوعي بها:

التفسير الموضوعي هو أحد أساليب^(١) عرض وكتابة التفسير، وقد حصرها كثير من المعاصرين^(٢) في أربعة أساليب، هي:

□ أولاً: التفسير التحليلي:

وهو بيان معاني الألفاظ في الآية، وإيضاح إعرابها، وبلاغتها،

(١) المراد بالأساليب هنا: طُرُق التعبير، وقد أطلق بعضهم على التفسير الموضوعي لفظَ منهج، أو اتجاه، أو علم، ولا مشاحة في ذلك لسعة هذه المدلولات، لكن غلب إطلاقُ المنهج على طريقة التأليف، أو طريقة المفسر في بيان معاني القرآن، أمّا الاتجاه: فهو الهدف الذي يريد المفسر تحقيقه من تفسيره، ويعتني ببيانه أكثر من غيره، كبيان الأحكام الفقهية (الاتجاه الفقهي)، أو بيان بلاغة القرآن (الاتجاه البلاغي)، وهكذا. وقد يُطلق أحدهما بمعنى الآخر، أما إطلاق لفظ: (علم) على التفسير الموضوعي فغير وجيه؛ لأنه ليس علماً مستقلاً، بل هو منهج أو أسلوب من أساليب التفسير.

(٢) أول من رأته قسّمها هذه الأقسام الأربعة الشيخ أحمد الكومي في التفسير الموضوعي ص ٩ وما بعدها، وأطلق عليها: أنواع التفسير، وتابعه كثيرون.

وذكر ما ورد فيها من قراءات، وأسباب نزول، وأحكام، وإيراد أقوال المفسرين فيها، حسب ترتيبها في المصحف، وعلى هذا الأسلوب جرى عامة المفسرين، على تفاوت بينهم في الطول والاختصار، وتنوع في المناهج، والاتجاهات، ومن المؤلفات في ذلك: تفسير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والواحدي، والقرطبي، وابن كثير، وابن جزي، والجلالين، وغيرها.

□ ثانيًا: التفسير الإجمالي:

وهو بيان المعنى العام للآيات القرآنية، دون دخول في تحليل الألفاظ، ومن أمثله: تفسير السَّعْدِي (تيسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المنان)، وتفسير الشيخ محمد المكي الناصري، والتفسير الميسر، ألفه مجموعة من العلماء، ونشره مَجْمَعُ الْمَلِك فهد في المدينة النبوية.

□ ثالثًا: التفسير المُقَارَن:

وهو بيان الآيات القرآنية بإيراد أقوال المفسرين فيها وأدلتهم، مع الموازنة بين آرائهم، وبيان الراجح منها^(١)، مثل تفسير ابن جرير الطبري، وابن عطية، والشنقيطي، وغيرها. وقد توسَّع بعضهم في ذكر وجوه المقارنة فذكر منها: المقارنة بين اتجاهات المفسرين، والمقارنة بالأحاديث النبوية، أو بما ورد في الكتب السابقة^(٢).

(١) انظر: التفسير الموضوعي لأحمد الكومي ص ١٧، والمدخل إلى التفسير الموضوعي ص ١٧، والتفسير أساسياته واتجاهاته ص ٢٠٦، والتفسير المقارن بين النظرية والتطبيق ص ٤٣.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لأحمد الكومي ص ١٧، وهو أول من أطلق

وفي رأبي أن هذا الأسلوب أو النوعَ راجع إلى التفسير التحليلي، لكن أصحاب التفسير التحليلي متفاوتون في إيراد أقوال المفسرين والموازنة بينها، وأكثر كتب التفسير المبسوطة تذكر أقوال المفسرين وتوازن بينها وتبيّن الراجح منها، ولذلك لا نستطيع أن نقول إن هذا الأسلوب مستقلٌّ عن أسلوب التفسير التحليلي.

وأما إدخال وجوه المقارنة الأخرى فهو تكلف ظاهر، ووجودها في مواضع من كتب التفسير لا يعني أنها أسلوب مستقلٌّ مقصود، بل يتّعرض لها المفسّر كما يتعرض لغيرها من المباحث المتممة لبيان معاني الآيات.

والإشكال هنا ليس في ذات المصطلح (التفسير المقارن)، إنما الإشكال - في رأبي - في جعله قسيماً للتفسير التحليلي، وتصنيف كتب التفسير وفق هذين النوعين.

□ رابعاً: التفسير الموضوعي:

وهو مجال الحديث في هذا الكتاب.

وقد يوجد شيء من التداخل بين هذه الأساليب، ولا سيما بين الأول والثاني، فتجد بعض المؤلفين في التفسير التحليلي يميل إلى الصياغة الإجمالية في بعض المواضع، والعكس كذلك، حيث يحتاج بعض أصحاب التفسير الإجمالي إلى الوقوف عند كلمة معينة ويحلّلها، والعبرة بالمنحى الغالب على التفسير.

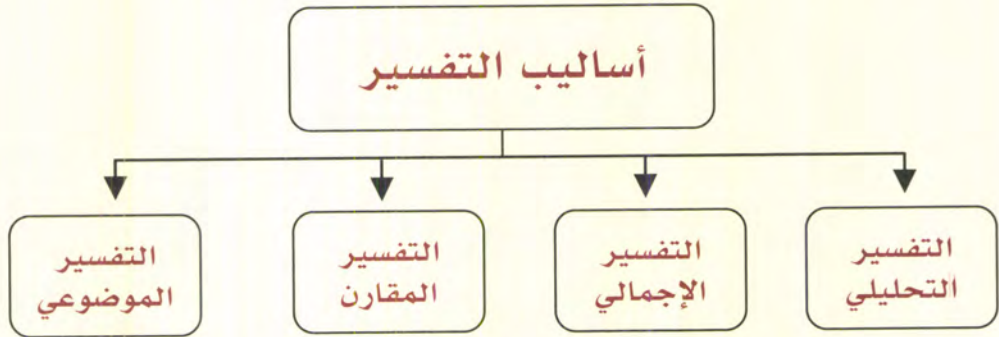
وبعض التفاسير المعاصرة انتهجت أكثر من أسلوب، حيث تقسم السورة إلى مقاطع، والمقاطع إلى فقرات، فتبين معاني الألفاظ

= مصطلح (التفسير المقارن)، حسب علمي.



الغريبة، ثم تذكر التفسير الإجمالي، ثم هدايات وفوائد الآيات، وبعضها يذكر أيضًا مشكل الإعراب، والقراءات، واللطائف البلاغية، مثل تفسير المراغي، والتفسير المنير للزحيلي، وأيسر التفاسير للجزائري، والتفسير المحرر.

وأما صلة التفسير الموضوعي ببقية الأساليب فهي واضحة وثيقة، فالتفسير الموضوعي لا يتم إلا بعد التفسير التحليلي للآيات ومعرفة دلالات الألفاظ والجمل، ثم إن صياغة معاني آيات الموضوع القرآني وعرض هداياته إنما تكون بأسلوب التفسير الإجمالي^(١)، وسيتضح ذلك عند بيان خطوات الكتابة في التفسير الموضوعي.



(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص ٥٣.



المبحث الثاني

أهمية التفسير الموضوعي وفوائده



التفسير الموضوعي من الأساليب المهمة والمفيدة في تقريب معاني القرآن الكريم للناس، ومعالجة القضايا المعاصرة، وتنزيل الآيات القرآنية على الواقع، سواءً كان ذلك عن طريق الكتابة أم عن طريق الخطبة والمحاضرة، ومن أهم فوائده ما يلي:

- ١ - أنه يعين على تفسير القرآن بالقرآن، من خلال جمع الآيات الواردة في موضوع واحد، وبيان بعضها ببعض.
- ٢ - أنه يعدُّ لوناً من ألوان التجديد المنهجي المنضبط في كتابة التفسير، وبذلك يسهم في مدافعة التفسيرات المعاصرة المنحرفة، التي يزعم أصحابها التجديد في التفسير.
- ٣ - بيان ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهدايات الربانية، من خلال الدراسة الموضوعية للآيات والتأمل فيها.
- ٤ - معالجة المشكلات الواقعية من خلال القرآن الكريم، وذلك من خلال النظر في مقاصده، والاعتبار بمواعظه وقصصه وهداياته.
- ٥ - الرد على أهل الأهواء والشبه قديماً وحديثاً؛ من خلال جمع ما ورد فيها من آيات وتقديمها بأسلوب موضوعي متكامل، وبذلك



يتم نقض هذه الشبهات وإبطالها، وبيان موقف القرآن الصحيح من القضايا التي يثيرونها بسبب نظرتهم القاصرة للنصوص.

٦ - إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، وذلك من خلال جمع الآيات الواردة في مجال التشريع والعلوم المعاصرة، وبيان دلالاتها المعجزة^(١).

٧ - تأصيل بعض العلوم المعاصرة وضبط مسارها؛ كالعلوم الاقتصادية والتربوية والنفسية وغيرها وذلك بدراسة ما ورد فيها من آيات وما تحويه من دلائل وهدايات^(٢).

□ تنبيه:

بالغ عددٌ من الباحثين المعاصرين في أهمية التفسير الموضوعي وبيان أهميته وثمراته، فزعموا أن هذا اللون من ألوان التفسير هو الذي يجب أن يسود هذا العصر، وهو الأنسب للتدريس في المدارس والجامعات، والأولى بالاتباع في هذا العصر، وهو تفسير المستقبل والفكر والحضارة، حيث يبدأ المفسر فيه بتشخيص الواقع وتحديد حاجات الأمة في جميع جوانبها الفكرية والنظرية والعملية والسلوكية والحضارية والسياسية والاقتصادية، ثم يبحث عن حلولها من خلال آيات القرآن الكريم، ولذلك سيساعد على تحسين أوضاع المسلمين وحل مشكلاتهم.

(١) من غير تعسف وتكلف في إثبات هذه الوجوه الإعجازية.

(٢) انظر لما سبق: التفسير الموضوعي للكومي ص ١٧، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢١، المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٤٠، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص ٨٧.

وفي سياق ذلك هَوّونا من شأن التفسير التحليلي، وأطلقوا عليه: التفسير الموضوعي، والتجزئي، والتقليدي، وزعموا أنه وسيلة لغاية، هي التفسير الموضوعي، وأنه لا ينزل إلى الواقع ولا يعالج مشكلاته، ولا يتجاوز الوقوف على الألفاظ والجمل، حيث يبدأ المفسر فيه من القرآن ويبقى معه وينتهي فيه، شارحًا ومحللاً للألفاظ، فهو تفسير نظري يقدم معلومات تفسيرية ثقافية ومجالات علمية متنوعة، ولا يلتفت لواقع الأمة ولا يعالج قضاياها، بل يساعد على إعاقة الفكر^(١)، إلى غير ذلك من الدعاوى التي لا يخفى بطلانها على الناظر في كتب التفسير التحليلي، ومناهج المفسرين فيه في جميع القرون.

وكون كُتِب التفسير التحليلي لم تتعرض بالتفصيل لما يقع من قضايا ونوازل لا يعني ذلك عدم اهتمامها بشأن الأمة ومعالجة قضاياها، فإن هذه الوقائع والنوازل تزول وتتغير بتغير الأزمان^(٢)، وإذا عرف الناس معاني القرآن وفهموا مقاصده استطاعوا معالجة قضاياهم من خلال توجيهاته وهداياته.

وقد تقدم بيان أهمية التفسير الموضوعي ودوره في معالجة بعض القضايا المعاصرة في دراسات قرآنية مستقلة، وهذا لا يلزم منه إلغاء التفسير التحليلي في هذا العصر، أو الحطّ من شأن التفاسير

(١) انظر: التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية ص ٧، ٤٨، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص ٤٢، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص ٩، ٦٢.

(٢) علمًا أن بعض كتب التفسير التحليلي القديمة والحديثة تعرّضت لتنزيل آيات القرآن على الواقع. انظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، لعبد العزيز الضامر.



القديمة والحديثة التي كانت مكتوبةً بأسلوب التحليل.





المبحث الثالث

نشأة التفسير الموضوعي، وأهم المؤلفات فيه



التفسير الموضوعي بهذا المفهوم والمنهج لم يظهر إلا في العصر الحاضر، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، من خلال بعض الرسائل والمقررات الدراسية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر في مصر.

ولا يعني هذا عدم وجود أصل لهذا الأسلوب من أساليب التفسير، ولعله يدخل في عموم تفسير القرآن بالقرآن، المعروف منذ نزول القرآن؛ حيث إن آيات القرآن يفسر بعضها بعضًا، وكان مفسرو السلف ومن جاء بعدهم يستنبطون من خلال جمع الآيات الواردة في موضوع واحد معاني وأحكامًا، وينصّون على كليات الألفاظ فيه، ويدفعون ما يوهم التعارض بين آياته.

كما أن هناك طُرقًا ومؤلفات عديدة للمتقدمين يمكن أن تكون أصلًا ونواةً له، وإن لم يصحَّ إطلاق مصطلح التفسير الموضوعي عليها، ومن ذلك:

١ - المؤلفات التي جمعت عددًا من الآيات في موضع أو باب معين، مثل كُتب الوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ، وأحكام



القرآن، وغيرها، وقد بدأ التأليف في هذه الأنواع في القرن الثاني الهجري.

٢ - المؤلفات التي كتَبها بعضُ العلماء في موضوعات معينة في القرآن، وهي وإن لم تكن على منهج التفسير الموضوعي المعاصر، إلا أنها تعتبر مظهرًا من مظاهر جمع الآيات المتعلقة بموضوع معين، مثل: (المواعيد المُنتَجزة من الله تعالى في كتابه لرسوله ﷺ وللمؤمنين) لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت ٣٩٢هـ)^(١)، و(أقسام القرآن)، لابن القيم.

أما الجهود الحديثة التي يرى عددٌ من الباحثين أنها مهّدت لظهور التفسير الموضوعي فيمكن إجمالها فيما يلي:

١ - كِتَابَاتُ ودروس مدرسة المنار، حيث كتب جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٥هـ) المقالة التفسيرية، في مجلة العروة الوثقى، كذلك كتب تلميذه محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) عدة مقالات تفسيرية، وألقى محاضرات ودروسًا تفسيرية، برزت فيها ملامح التفسير الموضوعي، وإن كانت ممزوجةً بالتفسير التحليلي، وألف محمود شلتوت (ت ١٣٨٣هـ) كتابين سلك فيهما مسلك التفسير الموضوعي، وهما: (القرآن والمرأة) و(القرآن والقتال)، وهكذا جمعت بعضُ تفاسير أتباع هذه المدرسة بين الأسلوب التحليلي والموضوعي كما في تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمد رشيد رضا (ت

(١) ذكره ابنُ خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في فهرسته ص ٣٣٥، والكتاب مفقود، وقد أفادني بهذه المعلومة د. نبيل بن أحمد بلهي الجزائري - جزاء الله خيرًا -، بعد اطلاعه على هذا الكتاب، في طبعته الأولى.

١٣٥٤هـ)، وتفسير المراغي (ت ١٣٦٤هـ)، وتفسير محمود شلتوت (ت ١٣٨٣هـ).

ولذلك يرى بعض الباحثين أن التفسير الموضوعي نشأ في مدرسة المنار العقلية.

وقد ذكر محمود شلتوت أن لتفسير القرآن طريقتين، فذكر الأولى، وهي طريقة التفسير التحليلي، ثم ذكر الطريقة الثانية فقال: «أن يَعْمَدَ المفسِّرُ أولاً إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كموادٍ يحلُّها وَيَفْقَهُ معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع، وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يُكْرِهُ آية على معنى لا تريده، كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم.

وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى، وخصوصاً في التفسير الذي يُراد إِذَاعَتُهُ على الناس، بقصد إرشادهم إلى ما تضمَّنه القرآن من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحثه يشتغل بها الناس، من غير أن يكون لها مُثُلٌ واقعية، فيما يحدث للأفراد والجماعات من أفضية، ويتصل بحياتهم من شؤون...»^(١).

٢ - ومن الجهود التي أسهمت في ظهور التفسير الموضوعي كتابات مدرسة الأماناء على يد أستاذها أمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ)، الذي أفاد من مدرسة المنار، ونهج ما يسمى الأسلوب البياني أو الأدبي في التفسير.

(١) القرآن والقتال ص ٥.



٣ - كما كتب بعض المستشرقين موضوعاتٍ تشير عناوينها إلى انتهاجهم أسلوب الدراسة الموضوعية، مثل: «السَّامريون في القرآن»، لجوزيف هاليفي، نشر عام ١٩٠٨م، «إبراهيم في القرآن»، لفان جنيب، نشر عام ١٩١٢م، «اليهودية والنصرانية في القرآن»، لبومشتارك، نشر عام ١٩٢٧م.

٤ - وإلى جانب ذلك وُجدت في هذا العصر كتاباتٌ متنوعة نَحَتْ منحى التفسير الموضوعي، ومن ذلك: «العرب في القرآن» و«تفسير المعوذتين» لعبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ)، و«دستور الأخلاق في القرآن»، و«النبأ العظيم»، لمحمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، وغيرها^(١).

أما أولٌ من كَتَبَ في التفسير الموضوعي وفق منهجية واضحة - حسب علمي - فهو محمد محمود حجازي (ت ١٣٩١هـ) في رسالته العلمية «الوَحدة الموضوعية في القرآن الكريم»، وقد نُوقِشت في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٣٨٦هـ، وطُبعت عام ١٣٩٠هـ، واشتملت على قسم تأصيلي قصير، وقسم تطبيقي.

هذه جملةٌ من الأعمال التي صدرت في تلك الفترة، وليس بالضرورة أن تكون كلها قد أسهمت في ظهور التفسير الموضوعي، أو وَصَلَتْ إلى أيدي أصحاب الكتابات الأولى فيه.

(١) انظر لما سبق: التفسير الموضوعي لأحمد الكومي ص ٢١، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر ص ٥٠، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ص ٥٦، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص ١١٠، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص ٦٠، ٤٨.

ثم توالى المؤلفات فيه بعد ذلك سواء كانت تأصيلية أم تطبيقية، ولا سيما بعد أن أضحى «التفسير الموضوعي» مادةً مقررة في الجامعات، ومن المؤلفات في تأصيله^(١) ما يلي:

١ - «التفسير الموضوعي»، لأحمد السيد الكومي^(٢)، وأحمد القاسم.

٢ - «البداية في التفسير الموضوعي»، لعبد الحي الفرماوي.

٣ - «دراسات في التفسير الموضوعي»، لزاهر بن عواض الألمعي.

٤ - «المدخل إلى التفسير الموضوعي»، لعبد الستار فتح الله سعيد.

٥ - «مباحث في التفسير الموضوعي»، لمصطفى مسلم.

٦ - «دراسات في التفسير الموضوعي للقصاص القرآني»، لأحمد جمال العمري.

٧ - «التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل»، لزيد عمر العيص.

٨ - «التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه»، لزيد الدغامين.

٩ - «منهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية»، لسامر رشواني.

وغيرها كثير.

أما الكتابات التطبيقية فلا يكاد يوجد موضوع في القرآن إلا

(١) علمًا أن هذه المؤلفات التأصيلية تحتوي على أمثلة تطبيقية.

(٢) والدكتور أحمد الكومي (تُوفِّي ١٤٩١هـ) هو شيخ محمد محمود حجازي والمشرف على رسالته، لكن تأخر تأليفه هذا الكتاب، وربما كان مذكرةً بأيدي الطلاب ثم طبع متأخرًا.



وَكُتِبَتْ فيه رسالة علمية أو بحث مختصر، أو كتاب، وهناك موسوعة بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مطبوعة في عشرة مجلدات، نشرتها جامعة الشارقة، كما صدرت عن دار القلم موسوعة أخرى بعنوان: التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، لعبد الحميد محمود طهماز، في ثمانية مجلدات، كذلك أصدر مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض موسوعةً كبرى بعنوان: (موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) في ستة وثلاثين مجلدًا.

ومن المؤلفات المنشورة في الموضوع القرآني، ما يلي:

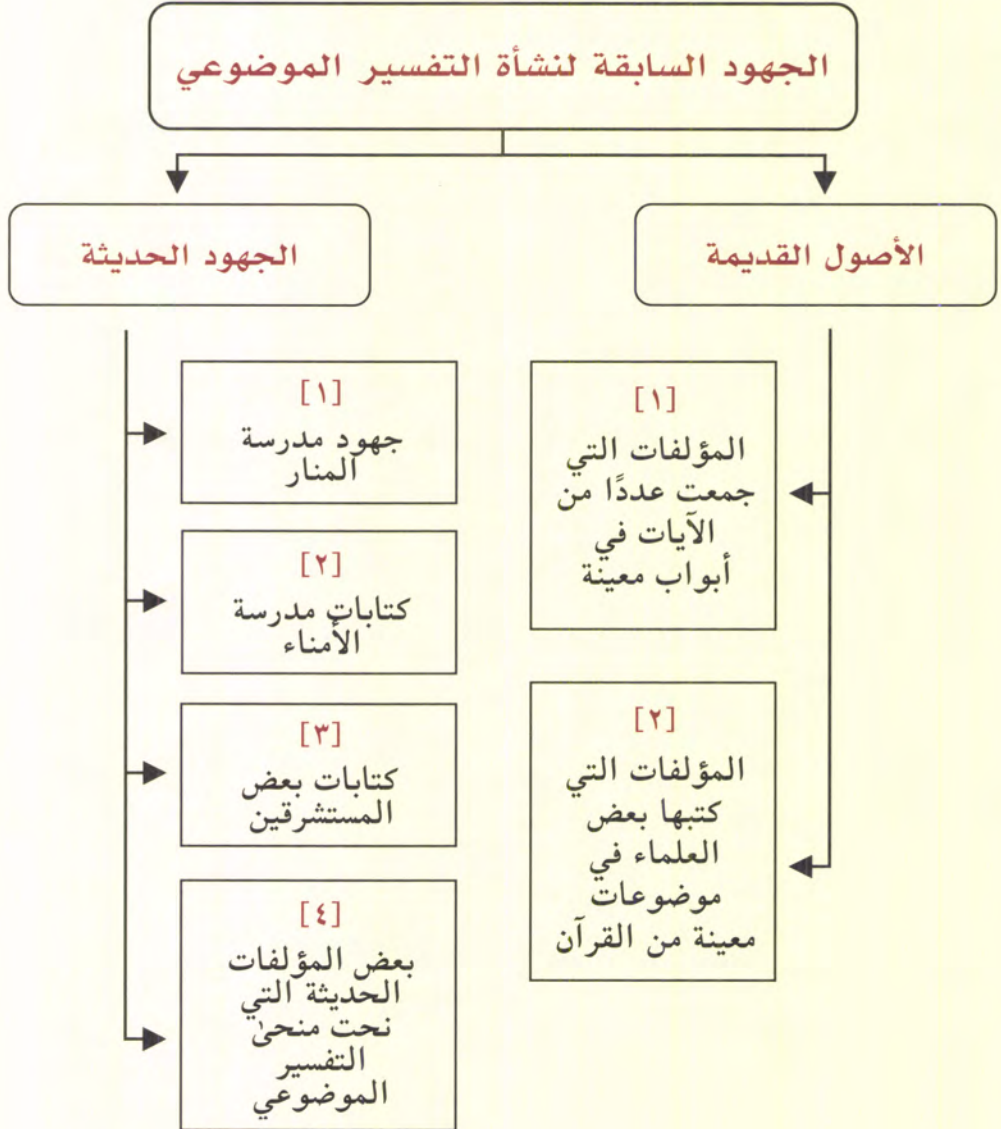
الهجرة في القرآن الكريم، لأحزمي سامعون جزولي، التقوى في القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم الديسي، منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، لإبراهيم بن صالح الحميضي، الصدق في القرآن الكريم دراسة موضوعية، لمذكر محمد عارف، آيات آل البيت في القرآن الكريم الدلالات والهدايات، لمنصور بن حمد العيدي، الحب والبغض في القرآن الكريم، لمها يوسف الجار الله، الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، لسناء محمود عابد.

ومن المؤلفات المنشورة في السورة القرآنية، ما يلي:

قضايا المرأة في سورة النساء، لمحمد يوسف عبده، العواصم من الفتن في سورة الكهف، لعبد الحميد محمود طهماز، التفسير الموضوعي لسورة الكهف، لأحمد الشرقاوي، سورة المطففين وأثرها في السلوك وتزكية النفوس، لحسين بن عودة العوايشة.

وبعض هذه المؤلفات المذكورة لم تلتزم التزامًا تامًا بمنهج الدراسة الموضوعية، وقد يكون في بعضها قصور أو خلل في بعض

الجوانب، وليس المقامُ هنا مقامَ نقدٍ وتقييمٍ.





المبحث الرابع

مجالات التفسير الموضوعي



هناك عدة مجالات أو أنواع للتفسير الموضوعي، وقد تفاوت الباحثون في تحديدها، فمنهم اقتصر على مجال واحد، وهو الموضوع القرآني^(١)، ومنهم من اقتصر على مجالين هما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية^(٢)، ومنهم من جعلها ثلاثة مجالات بإضافة المصطلح أو المفردة القرآنية^(٣)، ومنهم من جعلها ستة مجالات بإضافة موضوع في سورة، والأدوات أو الحروف، والمقالة القرآنية^(٤).

وعند التأمل يظهر أن الرأي الثاني هو الأرجح، وأنهما مجالان فقط، وأكثر الدراسات التطبيقية فيهما، وبيان ذلك كما يلي:

المجال الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم:

وذلك بجمع الآيات الواردة فيه، وتصنيفها، وتفسيرها، وبيان

(١) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي ص ٢٥، والتفسير أساسياته واتجاهاته ص ٦٤٦.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي ص ٢٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص ٢٢.

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢٥.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص ١١٤.



هداياتها، وهذا أشهر المجالات، وهو النوع الوحيد المتفق عليه بين الباحثين، وهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، والبحوث فيه كثيرة جداً، ولا يكاد يوجد موضوع في القرآن الكريم إلا وفيه دراسة، على تفاوت في المنهج والجودة، وقد تقدم في المبحث السابق ذكر عدد من المؤلفات فيه.

✍ المجال الثاني: تفسير سورة تفسيراً موضوعياً:

وهو تفسير سورة معينة من خلال التمهيد التعريفي لها، وتقسيمها إلى مقاطع حسب موضوعاتها ومقاصدها، ووضع عنوان لكل مقطع، وتفسيره، وبيان هداياته، وفق المنهج المعروف، وقد قال به أكثر الباحثين، وتقدم في المبحث السابق ذكر عدد من المؤلفات فيه. ومن الباحثين من لم يرَ هذا المجال؛ لما يأتي:

- ١ - أن اعتبار هذا المجال مبنيٌّ على القول بوجود الوحدة الموضوعية^(١)، وهي أمر تختلف فيه الأنظار، فكيف تُبنى موضوعاتها على هدف مختلف في تحديده^(٢)؟
- ٢ - اختلاف منهج البحث والكتابة فيها عن الموضوع القرآني^(٣).
- ٣ - أن حرص الباحث على القول بالوحدة الموضوعية قد يؤدي إلى إغفال بعض موضوعات السورة، التي لا تنسجم مع العنوان العام الذي وضعه لها، حفاظاً على هذه الوحدة^(٤).

(١) ويأتي الحديث عنها في المبحث السابع.

(٢) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار سعيد ص ٢٥.

(٣) منهج التفسير الموضوعي، دراسة نقدية ص ٢٤٥.

(٤) انظر: البيان القرآني ص ١٩٥.



والظاهر أنه لا مانع من اعتبار هذا المجال من التفسير الموضوعي،
وأما الاعتراضات السابقة فيمكن الإجابة عنها بما يلي:
١ - أن الاجتهاد والاختلاف في تحديد مقصد وهدف السورة أمر
سائع.

٢ - أنه لا يلزم تحديد مقصد واحد لتفسير السورة موضوعيًا، بل
تقسّم السورة حسب موضوعاتها، وتكون الوَحدة الموضوعية
خَاصِيَّةً من خصائص السورة^(١).

٣ - وأما كون الباحث يهمل بعض موضوعات السورة حفاظًا على
المقصد العام الذي وضعه لها فليس بلازم؛ لأنه يُفترض ألا يضع
هذا المقصد إلا بعدما يظهر له ارتباط جميع موضوعاتها به.
وسياتي مزيد بيان للوَحدة الموضوعية في المبحث السابع.

المجال الثالث: تفسير مصطلح^(٢) أو مفردة مُعَيَّنَةٌ من خلال القرآن الكريم:

وذلك أن يتتبع الباحث لفظةً من ألفاظ القرآن الكريم، ثم يجمع
الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة ومشتقاتها، وبعد جمع الآيات
والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال
القرآن الكريم لها، مثل دراسة لفظ أو مفردة: الإحصان، أو المكر،
أو الأمة، أو الحق، أو الفتنة، ونحو ذلك^(٣).

(١) انظر: المصدر السابق ص ٢٤٢ وما بعدها.

(٢) وإطلاق (مصطلح) على مفردة من مفردات القرآن الكريم، فيه تجوُّز؛
حيث إن المصطلح ما اتفقت على وضعه طائفةً مخصوصة. انظر المعجم
الوسيط ١/٥٢٠.

(٣) علمًا أنه يمكن دراسة مدلول هذه الألفاظ وفق منهج دراسة الموضوع =

وهذا اللون في الأصل يرجع إلى ما يُعرف في علوم القرآن بعلم الوجوه والنظائر، ولا يظهر لي دخوله في التفسير الموضوعي المنهجي إلا بتكُلف وتوسُّع في مدلول ودراسة الألفاظ، وبالتالي يعود إلى الموضوع القرآني.

والكتابة في هذا المجال قليلة بالنسبة إلى المجالين السابقين.

✍️ المجال الرابع: دراسة موضوع في سورة معينة:

وهو دراسة موضوع معين من خلال سورة مخصوصة، من سورة القرآن الكريم، مثل أصحاب الكهف في سورة الكهف، ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان، وحقوق المرأة في سورة النساء، واليهود من خلال سورة المائدة، وغير ذلك.

وعند النظر في هذا المجال نجد أن الأمثلة الداخلة فيه نوعان:

النوع الأول: ألاَّ يَرِدَ الموضوعُ المدروس إلا في سورة واحدة فقط في القرآن الكريم، وهو دراسة موضوع معين من خلال سورة مخصوصة، من سور القرآن الكريم مثل: أصحاب الكهف في سورة الكهف، ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان، فهذا مقبول من حيث أصل البحث فيه ولكنه راجع إلى المجال الأول، فالباحث في الحقيقة تتبع موارده ولم يجده إلا في سورة واحدة.

النوع الثاني: أن يكون الموضوع مذكورًا في سور متعددة؛ كقصة آدم في سورة البقرة، واليهود في سورة المائدة، وصفات المؤمنين

= القرآني، بضمّ ما ورد في معناها من ألفاظ أخرى.



في سورة المؤمنون، فالإقتصار في دراسته على سورة واحدة فيه نقص وخلل.

المجال الخامس: دراسة الأدوات الواردة في القرآن الكريم:

كأدوات الجر، والعطف، والشرط، وغيرها، وذلك بجمع الآيات التي تضمنت حرف منها ودراستها، كدراسة حرف «إلى» في القرآن الكريم، ويبعد أن يكون هذا النوع داخلاً في التفسير الموضوعي، بل هذه مباحث لغوية محضة.

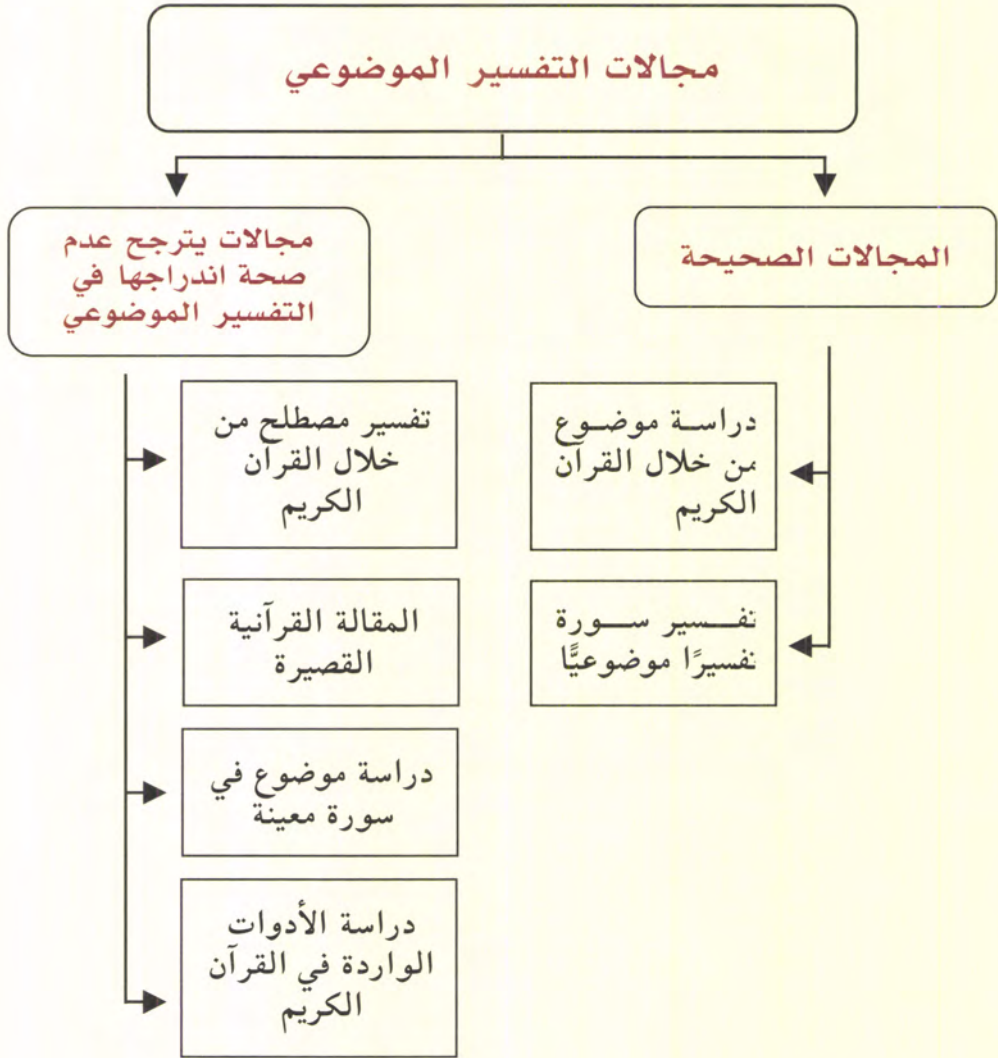
المجال السادس: المقالة القرآنية القصيرة^(١):

وهي ما يُعدُّه الكاتب للنشر في مجلة أو صحيفة، ينطلق فيها من آية أو آيات قرآنية ويبرز هداياتها.

ومن أمثلتها ما يلي: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ [عبس]، ﴿حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بَأْنُسِهِمْ﴾ [الأَنْفَال: ٥٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

والظاهر أن انطلاق الكاتب من آية معينة أو استشهاد به، لا يكفي لإطلاق مصطلح التفسير الموضوعي على كتابته، لافتقاره إلى الشمول وبيان دلالات القرآن الكريم وهداياته حول القضية المطروحة.

(١) أما المقالة الطويلة التي يختار فيها الكاتب موضوعاً قرآنياً لم ترد فيه آيات كثيرة، ويحاول الوقوف عند هذه الآيات وإبراز هداياتها، فهذه داخلة في مجال الموضوع القرآني، فالأبحاث في هذا المجال ليست على درجة واحدة، فبعضها طويل مبسوط، وبعضها متوسط، وبعضها قصير، تبعاً لعدد الآيات الواردة في كل موضوع، وهدف البحث، وطريقة الباحث.





المبحث الخامس

خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي



التفسير الموضوعي له منهج خاص في الكتابة لا بد من الالتزام به والوفاء بأركانه، مع العلم أن هذا المنهج زائد على المنهج العام المعروف في كتابة الأبحاث العلمية من التخطيط، والتوثيق، وسلامة اللغة والإملاء، وجودة الصياغة، والفهرسة، وحسن الإخراج، وغير ذلك من ضوابط الكتابة العلمية.

أولاً: خطوات الكتابة في الموضوع القرآني:

ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ - تحديد الموضوع المراد دراسته، والتأكد من وجود مادة قرآنية كافية فيه، أما إذا لم يرد فيه إلا آية واحدة أو آيتان أو ثلاث، فلا يناسب أن يُدرَسَ استقلالاً.

٢ - اختيار عنوان مناسب له، فيه دلالة على الدراسة الموضوعية القرآنية.

وجَمَالُ العُنْوَانِ وَوُضُوْحُهُ له أثر في جذب القارئ وانتشار البحث، إذا صاحب ذلك جودةً في المحتوى والصياغة.



كذلك ينبغي العناية بعنوانات المباحث الفرعية للموضوع وربطها بالآيات القرآنية.

٣ - جمع الآيات القرآنية الواردة في الموضوع، وذلك من خلال الأدوات التالية:

[أ] النظر والتدبر في آيات القرآن الكريم، واستخلاص ما له علاقة بالموضوع.

[ب] الرجوع إلى المعاجم اللفظية^(١)، والموضوعية^(٢)، والإلكترونية، للقرآن الكريم، وهناك معاجم أو فهارس حديثة كثيرة للقرآن الكريم^(٣).

فمن المعاجم اللفظية:

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٢ - معجم ألفاظ القرآن الكريم، الذي أصدره المجمع اللغوي في القاهرة.

(١) المعاجم اللفظية للقرآن: هي الكتب التي جمعت ألفاظ القرآن الكريم، مرتبةً ترتيباً هجائياً، مع بيان مواضعها في المصحف.

(٢) المعاجم الموضوعية للقرآن: هي الكتب التي عُنِيَتْ بجمع وتصنيف موضوعات القرآن الكريم، وذكر ما يندرج تحتها من آيات.

(٣) هناك مناهج متعددة للأعمال المعجمية حول ألفاظ القرآن الكريم وموضوعاته. انظر المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ص ٩، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن محمد الحجيلي، ضمن أبحاث (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم) ٢٩١/٤.



٣ - المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الله جلغوم.

٤ - المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، لأحمد مختار عمر، وغيره.

ومن المعاجم الموضوعية:

١ - تفصيل آيات القرآن الحكيم، للمستشرق جول لابوم، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي.

٢ - تصنيف آيات القرآن الكريم، لمحمد محمود إسماعيل.

٣ - المعجم المفصل لمواضيع القرآن المنزّل، لمحمد خليل عيتاني.

٤ - المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، لحسان عبد المنان.

٥ - المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لمحمد بسام الزين، وغيرها كثير.

وهناك مصاحف إلكترونية عديدة فيها خاصية البحث اللفظي والموضوعي في القرآن الكريم.

ولا تغني معاجم الألفاظ عن معاجم الموضوعات؛ لأن الموضوع الواحد قد يردُّ بألفاظ مختلفة.

وأيضاً لا تغني معاجم الموضوعات عن معاجم الألفاظ؛ لأنها غير حاصرة، ولاختلاف وجهات نظر الباحثين فيما يندرج تحت كل موضوع من آيات، كذلك لا ينبغي الاعتماد على البحث الإلكتروني عن اللفظ؛ لأن الألفاظ تَرَدُّ في القرآن بتصريفات مختلفة، قد يفوت بعضها على الباحث.

[ج] المؤلفات التي تحدثت عن الموضوع، وإن كانت في علوم أخرى، فإن بعض الباحثين يجمع كل ما يتعلق بموضوع بحثه من نصوص.

٤ - دراسة تفسير هذه الآيات، ومعرفة معناها، وزمن وسبب نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وهذه مرحلة تحضيرية متقدمة على الكتابة، والهدف منها معرفة معاني الآيات المدروسة.

٥ - تقسيم الموضوع إلى عناصر أو فصول ومباحث، مرتبة ترتيباً منهجياً، فعند علاج قضية معينة من خلال القرآن الكريم مثلاً، يكون تقسيم الموضوع على النحو التالي: مقدمة فتمهيد للموضوع، ثم تذكر الأسباب، ثم المظاهر، ثم الآثار، ثم العلاج، وقد تقتضي طبيعة الموضوع وما ورد فيه من آيات قرآنية تقسيماً آخر، أو زيادة مباحث أو حذف أخرى.

أما ما لم يرد فيه آيات فلا يفرد له مبحث خاص تكون مادته كلها من غير القرآن، كما يفعل ذلك بعض الباحثين، بل يُشار إليه في ثنايا المباحث الأخرى.

أما الاستدلال بالأحاديث والآثار والشواهد الأخرى لإيضاح دلالات الآيات فهو مطلوب، مع مراعاة عدم الإكثار منها حفاظاً على قرآنية الموضوع.

٦ - بيان أوجه المناسبات بين الآيات، ويمكن ذكرها في التفسير الإجمالي للآيات.

٧ - تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً، وذلك بذكر المعنى العام للآيات دون دخول في تحليل الألفاظ ووقوف عند الغريب والقراءات



والإعراب ونحو ذلك.

وقد تقتضي الحاجة الوقوف عند بعض هذه الأمور التحليلية لوجود خلاف قوي في أحد المعاني، أو ورود قراءة تفيد معنى زائداً له أثر في الموضوع، أو وجه إعرابي كذلك، فهنا لا بأس في التحليل، ويمكن الإشارة إلى ذلك في الحاشية إن كان ذلك يفي بالمقصود.

٨ - بيان مكان نزول الآيات، هل هو في المرحلة المكية أم المدنية، وإبراز الخصائص الموضوعية لمرحلة النزول؛ وذلك أثناء العرض الإجمالي للموضوع^(١).

٩ - استنباط ما تحتوي عليه الآيات من لطائف وهدايات، ويتم التركيز على الفوائد والهدايات الإيمانية والتربوية والعظات والعبر، كما يُشار للطائف البلاغية مع ذكر أسرار التعبير القرآني من غير تكلف.

١٠ - ربط الآيات بالواقع، ومحاولة تنزيلها على القضايا المعاصرة، من غير استطراد وإغراق في توصيف الواقع ومشكلاته.

(١) وقد ذكر بعض الباحثين من ضمن خطوات البحث: ترتيب الآيات حسب النزول، وبغض النظر عن إمكان تحديد تاريخ نزول جميع الآيات، فإنه لا حاجة لذلك في البحث الموضوعي، بل يكفي معرفة المكي والمدني منها.



ثانياً: خطوات البحث والكتابة في تفسير السورة القرآنية تفسيراً موضوعياً:

هناك أمور مشتركة بين هذا المجال والمجال السابق، وهناك إجراءات خاصة بمنهج الكتابة في السورة القرآنية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- ١ - التمهيد التعريفي بالسورة، ويُذكر فيه ما يلي:
 - أسماؤها التوقيفية والاجتهادية.
 - عدد آياتها.
 - فضائلها، إن ثبت لها فضل خاص.
 - مكان نزولها.
 - سبب نزولها، إن وجد.
 - موضوعاتها.

- مناسباتها من غير تكلف، وسيأتي بيان أنواع المناسبات في المبحث التالي.

وهذا التمهيد مهمٌ جداً، فهو يعين الباحث والقارئ على فهم السورة، ومعرفة سبب نزولها، وموضوعاتها، وحال المخاطبين فيها، ويرجع فيه إلى كتب علوم القرآن الشاملة، والمُفردة، وكتب التفسير التي تهتم ببيان علوم السور.

٢ - معرفة تفسير السورة معرفةً وافيةً، والاطلاع على أقوال المفسرين فيها، وهي خطوة تحضيرية سابقة للكتابة كما تقدم، والهدف منها فهم معاني الآيات، والقدرة على استنباط هداياتها.

٣ - محاولة التعرف على الوحدة الموضوعية في السورة، أو محور



السورة الذي تدور حوله موضوعاتها، فإن كانت سورةً طويلةً فقد يكون لها أكثر من مقصد، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه القضية في المبحث السابع.

وبعضُ الباحثين يجعل محور السورة أو مقصدها الأساس عنوانًا لدراسته حول السورة، ومن أمثلة ذلك: «العواصم من الفتن في سورة الكهف»، «تصوُّر الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام»، «ركائز المجتمع المسلم في سورة الحجرات»، والغالب الاقتصار على اسم السورة مع الإشارة أنها موضوعية، فيقال: سورة كذا دراسة موضوعية، أو التفسير الموضوعي لسورة كذا.

٤ - تقسيم السورة إلى مقاطع، مع وضع عنوان مناسب لكل مقطع، وهذا في السور الطويلة والمتوسطة، أما السور القصيرة فقد لا تحتمل التقسيم، بل تدرس جملةً.

٥ - ذكُرُ المناسبات بين مقاطع السورة وآياتها، أما مناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، فتذكر في التمهيد كما تقدم.

٦ - تفسير كل مقطع تفسيرًا إجماليًّا، مع ربط المقاطع بعضها ببعض، وبيان صلتها بمحور السورة.

٧ - ذكُرُ ما يؤخذ من كل مقطع من فوائد ولطائف وهدايات.

٨ - ربط آيات السورة بالواقع، وتنزيل هداياتها على القضايا المعاصرة؛ وذلك أثناء التفسير الإجمالي، أو في الفوائد والهدايات، من غير استطراد وإغراق في توصيف الواقع ومشكلاته.





ثالثاً: خطوات الكتابة في المفردة القرآنية^(١):

هناك اختلاف بين الباحثين المعاصرين في منهج دراسة المفردة القرآنية^(٢)، في جانب التأصيل، وفي جانب التطبيق، حيث يغلب بعضهم النظر اللفظي فيكون أقرب إلى التفسير التحليلي، ويغلب آخرون النظر الموضوعي، فيكون البحث أقرب إلى تفسير الموضوع القرآني، وهناك من يحاول الجمع بين الأمرين، من غير توسُّع في كل منهما، وهذا أولى^(٣).

ويمكن إجمال خطوات الكتابة في المفردة القرآنية فيما يلي^(٤):

١ - اختيار المفردة القرآنية المراد دراستها، علماً أنه ليس كُلُّ

- (١) سبق في المبحث الرابع أن الصحيح عدم اعتبار هذا النوع مجالاً مستقلاً عن مجالات التفسير الموضوعي، وهو رأي كثير من الباحثين، ولكن نظراً لكون بعض المناهج التعليمية أخذت بقول مَنْ عدّه مجالاً مستقلاً، أشار عليّ بعض الزملاء الذين درّسوا هذا الكتاب (في طبعته الأولى) بإدراجه في هذا الكتاب، فأدرجته ووضعت له مثلاً تطبيقياً. انظر ص ٢٨.
- (٢) أو (المصطلح القرآني) كما يعبر بعضهم، وسبق أن إطلاق هذا اللفظ فيه تجوُّز.
- (٣) يرى بعض الباحثين أن دراسة المصطلح أو المفردة القرآنية تمثل خطوة من خطوات دراسة الموضوع القرآني، وليس مجالاً مستقلاً. انظر التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص ٧٢، ومنهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد ص ٣٤.
- (٤) انظر التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية لأحمد حسن فرحات ص ٦، والدكتور أحمد فرحات من أوائل مَنْ كتب في ها المجال تأصيلاً وتطبيقاً، وانظر كذلك: مباحث في التفسير الموضوعي ص ٣٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص ٦٢.

مفردة تصلح للدراسة هنا، بل لا بد من تكرار ورودها، وتتنوع دلالاتها^(١).

٢ - جَمْعُ الآيات القرآنية الواردة في هذه المفردة، بتصريفاتها المتعددة، وذلك من خلال النظر والتدبُّر في آيات القرآن الكريم، والرجوع إلى المعاجم اللفظية للقرآن الكريم، وكتب الوجوه والنظائر.

٣ - الرجوع إلى كُتُب غريب ومعاني القرآن، وكتب التفسير، وكتب الوجوه والنظائر^(٢)، لمعرفة معاني اللفظة أو المفردة في سياقاتها القرآنية المختلفة، وربط المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي.

٤ - دراسة الآيات التي وردت فيها المفردة، ومعرفة معناها، وزمن وسبب نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وهذه مرحلة تحضيرية متقدمة على الكتابة، والهدف منها معرفة معاني الآيات المدروسة.

٥ - وضع خطة بحثية لدراسة المفردة، وذلك بتقسيمها إلى فصول ومباحث مناسبة لما ورد فيها من آيات ودلالات، ومن ذلك: ذكر المعاني اللغوية والشرعية لهذه المفردة، ومجالات أو أنواع ورودها، وأساليب القرآن في عرضها.

٦ - صياغة الموضوع وفق الخطة المرسومة، وفيما عدا الحديث عن دلالات المفردة، يكون تفسيرُ الآيات تفسيرًا إجماليًّا، وذلك

(١) ينظر التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية ص ٤.

(٢) مع ملاحظة أن أصحاب كتب الوجوه والنظائر قد يذكرون وجوهًا أو معاني مبنيةً على أقوال ضعيفة، أو يشقِّقون القول الواحد إلى أقوال عديدة.

بذكر المعنى العام للآيات، مع ربطه بمقاصد السورة.
٧ - استنباط ما تحتوي عليه الآيات من فوائد وهدايات، كما يُشار
للطائف البلاغية وأسرار التعبير القرآني من غير تكلف.



□ تنبيه:

يلاحظ أن بعض الأبحاث المكتوبة في التفسير الموضوعي لا يكاد



يوجد فيها من الصَّبغة الموضوعية إلا العنوان، أما طريقة الكتابة فهي تحليلية أو خليط بين التحليل والإجمال، ولا ذكر فيها للمناسبات، ولا المقاصد، ولا الهدايات، ولا ربط فيها للموضوع بالواقع، فينبغي التَّنبيه لذلك والحرص على الالتزام بمنهج الكتابة في التفسير الموضوعي الذي هو - في الجملة - محل اتفاق بين الباحثين.





المبحث السادس

علم المناسبات، وعلاقته بالتفسير الموضوعي



من الأمور المهمة التي ينبغي للباحث في التفسير الموضوعي أن يلمَّ بها ويوظفها عِلْمُ المناسبات، ولا سيما في التفسير الموضوعي للسورة؛ فإن معرفة وجوه المناسبة بين الآيات والسور يعين على فهم المعنى العام للآيات، والأغراض والموضوعات التي تتحدث عنها، ووجوه الترابط بينها، كذلك يعين على تحديد مقصد السورة، ووجوه ارتباط مقاطعها بعضها ببعض، وفيما يلي لمحة موجزة عن هذا العلم.

تعريف علم المناسبات:

المناسبة في اللغة: المقاربة والملاءمة والمشكلة بين شيئين^(١).
ومناسبات القرآن: وجوه الارتباط بين جُمل القرآن، وآياته،
وسوره^(٢).

- (١) انظر: المعجم الوسيط ص ٩١٦، والبرهان في علوم القرآن ٦١/١.
(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩٦، وعلم المناسبات بين المجيزين والمانعين، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام عدد ٢٥ ص ٩٨.



وعرّفها البقاعي بقوله: «هي علم تُعرَفُ منه علل ترتيب أجزاء القرآن»^(١).

أهمية علم المناسبات وفائدته:

علم المناسبات علم جليل، يعين على فهم القرآن الكريم، وإدراك مقاصده وأساره، ووجه ارتباط بعضه ببعض، ودفع الشبهات حول ترتيب آياته وصلة بعضها ببعض.

قال ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقَةً المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه فلمّا لم نجد له حَمَلَةً ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَةِ ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله وَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ»^(٢).

وقال الفخر الرازي: «أكثر لطائف القرآن مُودَعَةٌ في الترتيبات والروابط»^(٣).

وقال السيوطي: «علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»^(٤).

وقال البقاعي: «وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني

(١) نظم الدرر ٦/١، ومصاعد النظر ١٤٢/١.

(٢) البرهان ٦٢/١.

(٣) تفسير الرازي ١١٠/١٠.

(٤) الإتيان ١٨٣٦/٥، ١٨٤٠، وانظر: البرهان ٦٣/١.



لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو^(١).

وقال الزرقاني: «إن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجملة وآياته وسورة، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد...»^(٢).

✍ نشأة علم المناسبات، وأهم المؤلفات فيه:

معرفة وجه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض أمرٌ تدركه العربُ بمقتضى سليقتهم العربية السليمة، فهو معروف عند مفسري السلف.

قال البقاعي: «قد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون»^(٣).

ومن أوائل من اعتنى بعلم المناسبة عنايةً خاصة أبو بكر عبد الله ابن محمد النيسابوري الشافعي (ت ٣٢٤هـ)، فقد كان يقول على الكرسي في بغداد إذا قرئت عليه الآية: «لَمْ جُعِلتْ الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة في جنب هذه السور؟ وكان يُزري على

(١) نظم الدرر ٦/١.

(٢) مناهل العرفان ٣٣٨/٢.

(٣) مصاعد النظر ١٥٣/١.



علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»^(١).

وممن أفردته بالتأليف:

١ - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)،

في كتابه: (البرهان في تناسب سور القرآن).

٢ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)

في كتابه الكبير النفيس: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

٣ - السيوطي (ت ٩١١هـ) فقد ألف فيه ثلاثة كتب: (تناسق الدرر

في تناسب السور)، و(أسرار التنزيل) ويُسمّى (قطف الأزهار في كشف

الأسرار)، و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

٤ - عبد الله بن الصديق الغماري (ت ١٤١٣هـ) في كتابه: (جواهر

البيان في تناسب سور القرآن).

٥ - نور الدين عتر (ت ١٤٤٢هـ) في كتابه: (علم المناسبات وأهميته

في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه).

٦ - فاضل بن صالح السامرائي في كتابه: (التناسب بين السور في

المُفتّح والخواتيم).

وجميعها مطبوعة.

وقد اهتم به عدد من المفسرين ومنهم: الرازي، وابن العربي،

وأبو السعود، وأبو حيان وغيرهم.

ومن المعاصرين: محمد عبده، ويظهر ذلك في تفسير المنار،

والفراهي، والألوسي، والمراغي، وابن عاشور، والزحيلي، وغيرهم.

(١) البرهان ١/٦٣.

كذلك تعرّض لها تأصيلاً أصحاب كتب علوم القرآن، ومنهم: الزركشي في (البرهان)، والسيوطي في (الإتقان)، وابن عَقِيلَةَ المكي في (الزيادة والإحسان في علوم القرآن)، وغيرهم.

أقوال العلماء في علم المناسبات:

للعلماء في علم مناسبات القرآن الكريم قولان:

القول الأول: ذهب كثير من أهل العلم إلى القول بوجود المناسبات في القرآن، ولا سيما بين الآيات، وتقدم ذكر طائفة من أقوال العلماء في ذلك، واستدلوا بما يلي:

١ - أنها دليل على بلاغة القرآن وإعجازه، وجمال نظمه، وترابط أجزائه^(١).

٢ - أنها تعين على فهم القرآن، واستنباط لطائفه^(٢).

٣ - أن ذلك من أسرار ترتيب آيات القرآن وسوره، مع اختلاف مكان وزمان نزولها^(٣).

القول الثاني: عدم القول بوجود المناسبات بين الآيات والسور، وقال به جماعة من أهل العلم، واستدلوا على ذلك بما يلي:

١ - أن تطلب ذلك تكلف وتَعْسُفٌ يُصَانُ عنه القرآن.

٢ - أن القرآن نزل مفرقاً حسب الوقائع والأحداث في موضوعات مختلفة، فكيف يطلب له مناسبة.

(١) انظر أقوال العلماء في أهميته وثمرته أول هذا المبحث.

(٢) تفسير الرازي ١٠/١١٠.

(٣) علم المناسبات بين المجيزين والمنعنين ص ١١٨.



٣ - أن الكلام فيه إنما يكون بمحض الرأي المنهي عنه، وقد يفتح أبواب الشك لمن كان في قلبه مرض.

يقول العز بن عبد السلام: «المناسبة علمٌ حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض»^(١).

ويقول الشوكاني في تفسيره: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم مُتكلّف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف...»^(٢).

وقد أجاب عن ذلك وليّ الدين المَلَوِي الشافعي بقوله: «قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرّقة.

(٢) فتح القدير ١/١٧١.

(١) البرهان ١/٦٣، والإتقان ٥/١٨٣٨.

وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبةً سورة كلها وآياته بالتوقيف»^(١).

وقال ابن عَقِيلَةَ المكي معلقاً على قول العز بن عبد السلام: «ليس الأمر كذلك، بل مناسبة الآيات بعضها لبعض من أول المصحف إلى آخره حاصلة تامة على أحسن وجه وأكمل منوال، ولكن الناس تختلف أفهامهم في وجه المناسبة، فبعضهم يظهر له معنى بعيدٌ ضعيف، وبعضهم يظهر له معنى حسنٌ قوي، فالمناسبة بين الآيات حاصلة، وحسن ذلك وضعفه راجع إلى حسن الأفهام، واللّه أعلم»^(٢).

وقال محمد عبد الله دِرَاز: «إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لِبِنَاتُهُ، ثم فرق أنقاضاً فلم تلبث كل لِبِنَةٍ منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوفاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة»^(٣).

والأظهر - واللّه أعلم - القول الأول، ولا سيما في مناسبات الآيات، لكن بشرط عدم التّكلف والتعسّف في إثبات وجوه المناسبة، ولعلّ هذا مرادُ القائلين بالمنع، حيث لم تخلُ تفاسيرهم من ذكرٍ للمناسبات، ومنهم الشوكاني؛ فقد أورد في تفسيره عدداً كبيراً من المناسبات.

(١) البرهان ١/٦٣، والإتقان ٥/١٨٣٨.

(٢) الزيادة والإحسان ٥/٢٩٩.

(٣) النبأ العظيم ص ١٩٤.



هذا والقول بالمناسبات مبنيٌّ على القول بأن ترتيب الآيات والسور توقيفي، وترتيب الآيات توقيفي بالإجماع.

وأما ترتيب السور فهو محل خلاف مشهور، فبعض العلماء يقول: إنه توقيفي، وبعضهم يقول: اجتهادي، وبعضهم يقول: منه ما هو توقيفي ومنه ما هو اجتهادي، والأظهر أنه توقيفي، واللّه أعلم^(١).
وعناية المفسرين بالمناسبات بين الآيات أكثر؛ لوضوح ارتباط الآي بعضها ببعض، بخلاف مناسبات السور.

طريق معرفة المناسبات بين الآيات:

معرفة وجه ارتباط الآي بعضها ببعض يحتاج إلى تأمل دقيق في معاني الآيات، ويستعان على معرفة ذلك: بالنظر في السياق، وسبب النزول، ومكانه.

يقول البقاعي: «رُبَّ آية أقيمت في تأملها شهورًا»^(٢).

ويقول السيوطي: «قال بعض المتأخرين: الأمر الكلي المفيد لِعِرْفَانِ مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراق نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراق إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا

(١) انظر: البرهان ١/٣٢٣، والإتقان ٢/٣٩٤، ومناهل العرفان ١/٣٤٦ وما بعدها.

(٢) نظم الدرر ١/١٥.

فعلته تبين لك - إن شاء الله - وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة»^(١).

✍ أنواع المناسبات:

المناسبات في القرآن الكريم، أنواع، منها ما يكون بين السور، ومنها ما يكون في السورة الواحدة، وهي متفاوتة من حيث الظهور والخفاء.

□ أولاً: المناسبات في السورة الواحدة:

المناسبات الواقعة في السورة الواحدة أنواع أربعة:

١ - المناسبة بين الآيات بعضها لبعض:

وهذا النوع من أوضح أنواع المناسبة وأكثرها وجوداً في كتب التفسير، ومن أمثلته ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، لما بيّن ﷻ في هذه الآية محاسبة العبد على الحسنات ناسب أن يذكر محاسبته على السيئات فقال بعدها: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

- في افتتاح سورة البقرة لما ذكر الله المؤمنين الصادقين ثنّى بالمجاهرين بالكفر الذين وافقت سريرتهم علانيتهم وهم الكافرون، ثم أتبع ذلك ذكر الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم وهم المنافقون^(٢).

(١) الإتيان ١٨٤٦/٥.

(٢) انظر: نظم الدرر ٩٩/١، وقد روي عن مجاهد أنه قال: «أربع آيات من

سورة البقرة في نعت المؤمنين، وأيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة =



- قوله ﷺ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿النساء: ٧، ٨﴾.

لما ذكر ﷺ في الآية الأولى أن النساء يشتركن مع الرجال في الميراث، وَعَلِمَ ﷺ أن في الأقارب مَنْ لا يرث، وأن الذين لا يرثون إذا حضروا وقت القسمة يثقل ألا يعطوا شيئاً، أمر الله ﷺ أن يُدفع إليهم شيءٌ عند القسمة، حتى يحصل الأدب الجميل وحسن العشرة^(١).

٢ - المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿النجم: ٤٣، ٤٤﴾ لَمَّا ذَكَرَ ﷺ الضَّحْكَ ذَكَرَ ضِدَّهُ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْإِمَاتَةَ ذَكَرَ ضِدَّهَا، فَذَكَرَ هَذِهِ الْأَضْدَادَ فِيهَا دَلَالَةً عَلَىٰ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ^(٢).

- ولما أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، نهى سبحانه عن التعاون على الإثم والعدوان، قال ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

- ولَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُخَبِّرَ قَوْمَهُ بِأَنَّهُ مِنْهِيٌّ عَنِ عِبَادَةِ مَا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَمَرَهُ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ لَوْ اتَّبَعُوا

= في المنافقين» أخرجه ابن جرير ٢٤٥/١.

(١) تفسير الرازي ١٥٩/٩.

(٢) انظر: نظم الدرر ٧٤/١٩.



أهواءهم ووافقهم في ذلك صار ضالاً مثلهم، وهذا على سبيل الفرض، فإنه صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْوَاءِكُمْ قَدْ ضَلَكْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

٣ - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

ومن أنواع المناسبات في السورة الواحدة: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها، وقد كتب فيه السيوطي كتابه السابق ذكره: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- افتتحت سورة «المؤمنون» بذكر فلاح المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، واختتمت بنفي فلاح الكافرين ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] (١).

- افتتحت سورة ص بقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، واختتمت بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]؛ فالذكر مذكور في البدء والختام (٢).

- وافتتحت سورة الحشر بالتسبيح: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، وختمت به: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) انظر: الكشاف ٤٥/٣، ومراصد المطالع ص ٥٦.

(٢) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١٠٠٧/٢، ومراصد

المطالع ص ٦٢.



قال البقاعي: «وقد انعطف على افتتاحها ختامها وعانق ابتداءها تمامها، ووفى مَطْلَعُهَا مَقْطَعَهَا، وزاد وبلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان من أنزله برحمته رحمة للعباد، وهاديًا إلى الصواب والسداد»^(١).

٤ - المناسبة بين اسم السورة ومضمونها:

وهناك نوع رابع من أنواع المناسبات في السورة الواحدة، وهو المناسبة بين اسم السورة ومضمونها.

يقول البقاعي: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تُظْهِرُ المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه...»^(٢).

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمرُّ بالإنسان، فذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية أصحاب الكهف، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، ثم بيّنت المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكانها كَهْفٌ لمن اعتصم بها من الفتن^(٣)، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ

(١) انظر: نظم الدرر ٤٨٢/١٩، وانظر: ١٣٩/١٥، ١٩٤/١٩.

(٢) نظم الدرر ١٨/١.

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص ١٨٥.



سورة الكهف عصم من الدجال»^(١).

- المناسبة بين مضمون سورة الطلاق واسمها؛ فإن السورة تضمّنت أحكام الطلاق، وما يترتب عليه من العدة والتفقة.

- المناسبة بين مضمون سورة الإخلاص واسمها، فإن السورة تضمّنت إخلاص الله تعالى بالعبودية.

والتأمل في كثير من سور القرآن لا يجد مناسبة ظاهرة بين اسم السورة ومضمونها، انظر مثلاً سور: ص، ق، ن، البقرة، النمل، فهل في ذلك مناسبة خفية، أو يقال: إن هذه المناسبة موجودة في بعض السور دون بعض؟ الله أعلم.

□ ثانيًا: المناسبات بين السور:

المناسبات بين السور لها أنواع أهمها ما يلي:

■ الأول: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

من أنواع المناسبات بين السور: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وهذا ظاهر في بعض السور، وفي بعضها لا يظهر إلا بتكلف، ولذلك نجد بعض المشتغلين في إيجاد هذا الرابط يتجاوزون مقدمة السورة وفاتحتها حتى يكادون يصلون وسط السورة، فيعدونه من فاتحتها أو خاتمتها، كما في «مراصد المطالع».

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى في آخر سورة الإسراء: ﴿ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:

(١) أخرجه مسلم ٥٥٥/١ (ح ١٠٩).



[١١١]، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]. فحُتِمَتُ الأُولَى بِالْحَمْدِ وافتتحت به الثانية.

مثال آخر: في آخر سورة الطور قال ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، وفي أول سورة النجم قال ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]. حيث ذُكِرَ النَّجْمُ فِي آخِرِ الأُولَى وَفَاتِحَةِ الثانية.

وكذلك: سورة الواقعة حُتِمَتِ بِالتَّسْبِيحِ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وافتتحت به سورة الحديد: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

■ الثاني: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

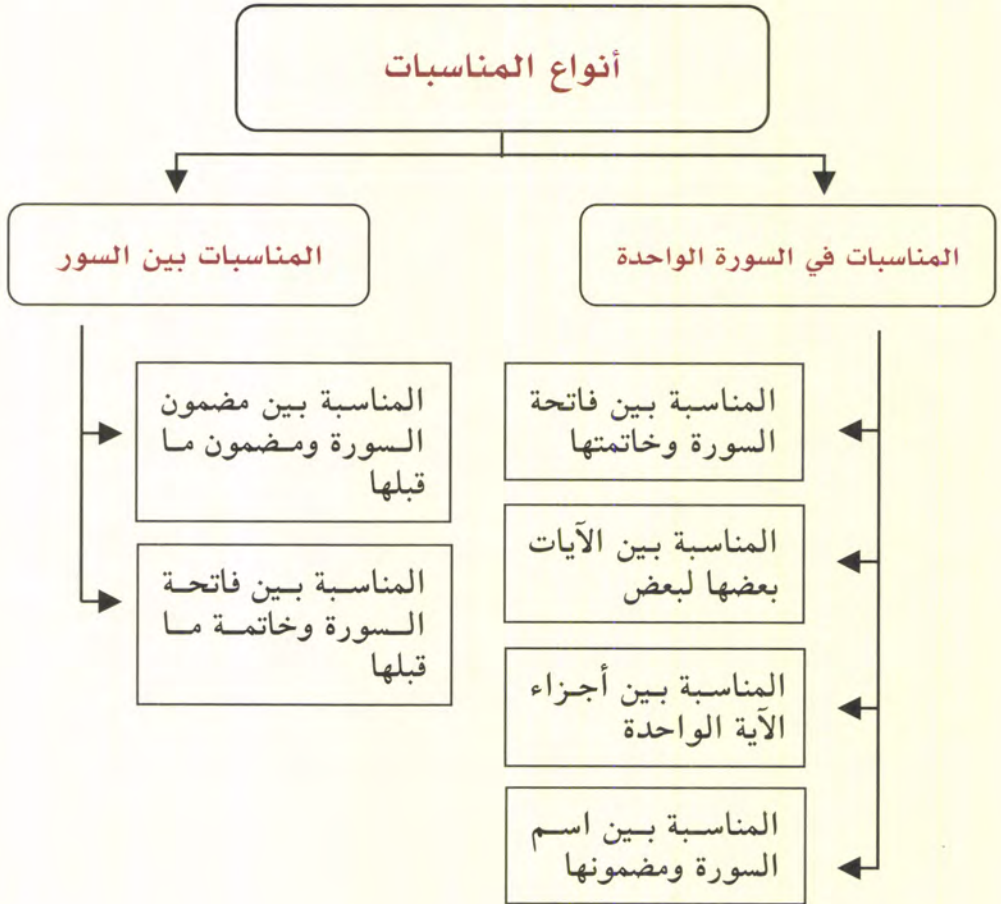
من أنواع المناسبات بين السور: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها، وقد اهتمَّ ببيان هذا الوجه ابنُ الزبير الغرناطي في البرهان في تناسب سور القرآن، والبقاعي في نظم الدرر، والسيوطي في تناسق الدرر في تناسب السور، ومن أمثلته ما يلي:

- المناسبة بين سورتي المؤمنون والنور، لما ذكر ﷺ في سورة المؤمنون حفظ المؤمنين لفروجهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] ذكر في سورة النور أحكام مَنْ لَمْ يَحْفَظْ فَرْجَهُ، مِنَ الزَّانَةِ وَالزَّوَانِي، وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْقَذْفِ وَالْإِفْكِ، وَالْأَمْرِ بِغَضِّ الْبَصْرِ، وَالنِّكَاحِ حَفْظًا لِلْفُرُوجِ^(١).

- المناسبة بين سورتي الضحى والشرح ففيهما تعدادٌ لِلنَّعْمِ التي

(١) تناسق الدرر ص ١٠٤.

أنعم الله ﷻ بها على رسوله الله ﷺ؛ ففي الضحى ذكر النعم الحسية، وفي الشرح النعم المعنوية^(١).
وختامًا، ينبغي أن يُعلم أن القول في المناسبات أمرٌ اجتهادي، تختلف فيه الأنظار، وقد يظهر للإنسان ما لا يظهر لغيره، فلا ينبغي التكلّف في إثباتها، والجزم بصحتها، كما لا ينبغي القطع بنفيها، ولا سيما بين الآيات، والله أعلم.



(١) البرهان في تناسب سور القرآن ص ٢١١.





المبحث السابع

الوَحْدَةُ الموضوعية في القرآن الكريم



من المسائل المهمة في التفسير الموضوعي ما يسمّى الوَحْدَةُ الموضوعية في القرآن الكريم، ولا سيما في مجال دراسة السورة، وهو مصطلحٌ معاصر، لكن القول بمعناه قديم، كما يأتي^(١).
والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم تشمل نوعين:

النوع الأول: وَحْدَةُ الموضوع القرآني؛

والمراد بوحدة الموضوع القرآني: أن الآيات الواردة في موضوع واحد في القرآن الكريم بينها تناسب وارتباط، ويتألف منها موضوع مُحكَم، مع أنها نزلت في أزمنة متفرقة، لأسباب مختلفة، وهذا أمر ظاهر، لا خلاف فيه، فإن القرآن يفسّر بعضه بعضًا.

قال عليه السلام: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فقوله عليه السلام: ﴿مُتَشَبِهًا﴾؛ أي: يشبه بعضه بعضًا في البلاغة والحسن

(١) وقد تقدم في المبحث الرابع أن بعض الباحثين لم يدخل دراسة السورة في التفسير الموضوعي، لأنه لا يرى القول بالوَحْدَةُ الموضوعية.



المبحث السابع: الوَحْدَةُ الموضوعية في القرآن الكريم

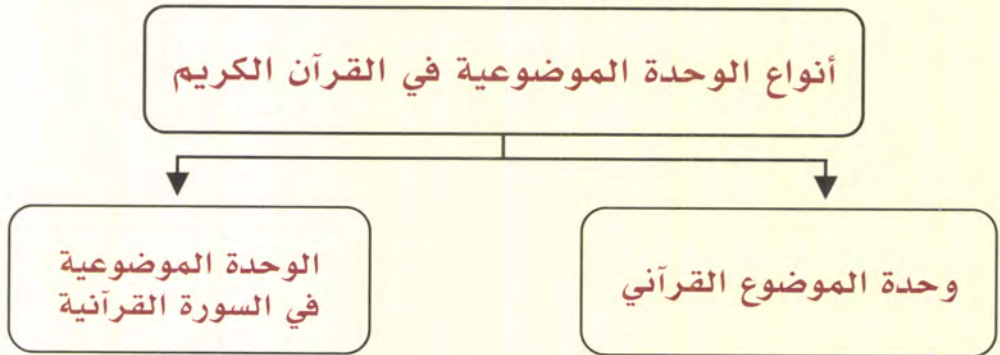
٦٥

والإحكام، وقوله ﷻ: ﴿مَتَانِي﴾؛ أي: تشنّى قصصه وأخباره وأحكامه^(١).

وهذا النوع في الجملة لا إشكال فيه، ولذلك كان مجال الموضوع القرآني من المجالات المُتَّفَق عليها بين الباحثين، كما سلف في المبحث الرابع.

النوع الثاني: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية:

المراد بالوحدة الموضوعية في السورة: أن لكل سورة قرآنية مَقْصِدًا وهدفًا محددًا، تعود إليه جميع موضوعاتها. ويطلق عليه: مَغْزَى السورة، وَعَمُودُهَا، وهدفها، ومِحْوَرُهَا، ومقصدتها، ومضمونها، ورُوحُهَا، وجَوْهَا، وفلَكُهَا، وشخصيَّتها، وموضوعها العام^(٢).



الفرق بين «موضوعات السورة» و«مقصود السورة»:

موضوعات السورة: ما تشتمل عليه آياتها من قضايا وأحكام

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١٩١/٢٠.

(٢) انظر: علم مقاصد السور ص ٩.



وقصص ومواعظ .

أما مقصود السورة فهو - كما تقدم - الغاية أو الخيط الذي ينتظم هذه المعاني المتنوعة، بحيث تعود كلها إليه .
وثمة خلطٌ واشتباه وقع فيه بعض من تحدّثوا عن الوحدة الموضوعية في السورة، وهو عدم التّفريق بين وحدة النّظْم والاتساق والترابط بين كلماتها وآياتها - وهو ما يعبر عنه بعض المعاصرين: بالوحدة العضوية أو الفنيّة - وبين وَحْدَةِ الهدف والمقصد^(١) .

أهمية العناية ببيان الوحدة الموضوعية للسورة، وجهود العلماء في ذلك:

معرفة مقصد السورة له أهمية كبيرة في دراستها دراسةً موضوعية، حيث يعين على فهم معانيها، وكشف أسرارها، ومعرفة وجوه ترابط أجزائها.

وقد وردت بعض الآثار عن السلف تدل على عنايتهم بمقاصد السور^(٢)، ومن ذلك ما ورد عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، (ومنهم ومنهم)، حتى ظنوا أنها لن تُبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها»^(٣) .
كما ورد عن قتادة أن سورة النحل تسمى سورة النعم، لكثرة تعداد نعم الله فيها على عباده^(٤) .

(١) انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص ١٢٥ وما بعدها، ومنهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية ص ٢٠٤ .

(٢) علم مقاصد السور ص ٢١ .

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦/٦ (ح ٤٨٨٢) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٢٢٩٥/٧، والسمعاني ١٦٣/٣، وابن كثير ٥٩١/٤ .

كما ذكر كثيرٌ من المفسرين وغيرهم من أهل العلم بعضَ مقاصدِ السور، على تفاوتٍ بينهم في ذلك، ومنهم: الزمخشري، والرازي في (تفسيريهما)، وابن الزُّبير العرَنَاطِي في (البرهان في تناسب سور القرآن)، والشاطبي في (الموافقات)، وابن القيم في بعض كتبه^(١)، والبِقَاعِي في (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وغيرهم.

ومن المتأخرين: ابن عاشور، والمراغي، والزحيلي، في تفاسيرهم، والفراهي في دلائل النظام ونظام القرآن، وغيرهم، علمًا أن بعض هؤلاء المتأخرين يعبرُ بالمقاصد عن موضوعات السورة.

ومن الجهود المعاصرة في إبراز مقاصد السور: «موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» حيث التزمت بذكر مقصد كلِّ سورةٍ من سور القرآن الكريم.

يقول البقاعي في بيان مقصد السور وفائدته: «كلُّ سورة لها مقصد واحدٌ يدار عليه أولها وآخرها، ويُستدلُّ عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدللَّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمَّ جرًّا، فإذا وصل الأمر إلى غايته خُتم بما منه كان ابتداءً، ثمَّ انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج بديع ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة التَّضْيِيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالية المزيَّنة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرِّ وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلُّ دائرة منها لها

(١) انظر مثلاً: بدائع الفوائد ١/١١٤، وشفاء العليل ص ٢٤٧.



شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة مُلتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورة كدائرة كبرىٍ مشتملة على دوائر الآيات الغرِّ، البديعةِ النظم، العجيبةِ الضمِّ، بليّن تعاطفِ أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها»^(١).

ويقول محمد عبد الله دراز: «إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخرُهُ بأوله، وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجُمْلُ بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية»^(٢).

ومن أهل العلم من أنكرو وجود الوحدة الموضوعية في السورة؛ نظراً لتنوع أغراض السور، ووجود الاختلاف في تعيين المقصد، وتعسّف بعض المفسرين في تحديده^(٣).

والأظهر - والله أعلم - أن السور الطويلة لها أكثر من مقصد، وأما السور القصيرة فقد يكون لها غرض واحد، لكن يبقى تحديده محلّ اجتهاد، فلا يقطع به، ولا يبالغ في إثباته، ولذلك نجد أن هناك اختلافاً كبيراً في تحديد بعض مقاصد السور^(٤)، وقد يذكر

(١) مصاعد النظر ١/١٤٩.

(٢) النبأ العظيم ص ١٩٩.

(٣) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار سعيد ص ٢٥، والتفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص ٢٤٤.

(٤) ذكر د. زياد الدغامين تسعة أقوال في تحديد مقصد سورة الحجر، ثم

اختار قولاً عاشراً. انظر: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص

بعضهم للسورة مقصدًا واسعًا يمكن أن ينطبق على كثير من سور القرآن الكريم، مثل: تقرير عقيدة التوحيد، أو إثبات البعث، أو العناية الإلهية بالإنسان، أو الرد على المكذبين للوحي، ونحو ذلك.

طريق معرفة مقصد السورة:

الوقوف على مقصد السورة وغرضها الذي تعود إليه موضوعاتها أمرٌ دقيق يحتاج إلى طول تفكير ونظر ومعرفةٍ تامةٍ بمعانيها، وأحوال نزولها، وأقوال المفسرين فيها، وإدراكٍ لمناسباتها ووجوه ارتباط مقاطعها^(١).

يقول الفراهي: «اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليد^(٢) لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها^(٣)».

□ تنبيه:

تقدم في المبحث الرابع أن عدم القول بوجود الوحدة الموضوعية في السورة لا يلزم منه إخراج التفسير الموضوعي للسورة عن مجالات التفسير الموضوعي، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين، بل يكون النظر فيها متعلقًا بموضوعاتها المتعددة سواء استطعنا أن نحدد لها

= ٢٧٧ - ٢٩٠.

(١) انظر: علم مقاصد السور ص ٤٧.

(٢) أي: مفتاح.

(٣) دلائل النظام ص ٧٧.



محورًا عامًا واحدًا ينتظمها أم لا .

ومن أمثلة مقاصد السور التي ذكرها العلماء :

مقصود سورة الفاتحة: مراقبة العباد لربهم^(١) ، وسورة النور:
أحكام العفاف والستر^(٢) ، وسورة الكافرون: البراءة من معبودات
المشركين^(٣) ، وسورة المرسلات في تقرير الكفار على كفرهم وتخويفهم
عليه^(٤) ، وسورة الحج: حكمة الحج وجلالة محله في الدين^(٥) .



(١) مصاعد النظر ٢٠٩/١ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠٦/١٢ .

(٣) بدائع الفوائد ١١٤/١ .

(٤) تفسير الرازي ٢٤٩/٣٠ .

(٥) نظام القرآن ٤١٧/١ .



أسئلة وتدرّيبات على القسم الأول

أولاً: الأسئلة النظرية: 

[س١]:

عرّف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحًا، مبيّنًا وجه تسميته موضوعيًا.

[س٢]:

اذكر الجهود السابقة لنشأة التفسير الموضوعي.

[س٣]:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

يمكن أن يدخل التفسير الموضوعي في عموم:

أ - تفسير القرآن باللغة العربية.

ب - تفسير القرآن بالقرآن.

ج - تفسير ابن عباس.

د - التفسير التحليلي.

[س٤]:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

أول مَنْ كَتَبَ في التفسير الموضوعي وفق منهجية واضحة هو:

أ - الشيخ محمد عبده.

ب - الشيخ عبد الحميد بن باديس.



ج - الدكتور محمد محمود حجازي.

د - الإمام ابن القيم.

[س٥]:

اذكر ثلاثة من الكتب المؤلفة في تأصيل التفسير الموضوعي.

[س٦]:

قارن بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي.

[س٧]:

اذكر ثلاثاً من فوائد التفسير الموضوعي.

[س٨]:

ناقش المقولة التالية: (التفسير الموضوعي هو الذي يجب أن يسود هذا العصر، وهو الأنسب للتدريس والأولى بالاتباع، وهو تفسير المستقبل).

[س٩]:

مثّل لثلاث موضوعات قرآنية، وثلاث سور قرآنية دُرست دراسةً موضوعيةً.

[س١٠]:

بيّن مجالات البحث في التفسير الموضوعي، وهل جميعها محل اتفاق بين الباحثين.

[س١١]:

اذكر خطوات البحث والكتابة في الموضوع القرآني إجمالاً.

[س١٢]:

اذكر خطوات البحث والكتابة في المفردة القرآنية إجمالاً.



[س١٣]:

اذكر خطوات البحث والكتابة في السورة القرآنية إجمالاً.

[س١٤]:

ما رأيك في العبارة التالية: ينبغي للباحث في التفسير الموضوعي أن يتوسّع في ربط الآيات بالواقع.

[س١٥]:

وضّح علاقة علم المناسبات بالتفسير الموضوعي، ثم مثّل للمناسبات بين الآيات والمناسبات بين السور.

[س١٦]:

ما المراد بالوحدة الموضوعية، وما أقوال العلماء في الوحدة الموضوعية في السورة، وماذا ترجّح.

ثانياً: التدريبات العملية:

[س١]:

اختر أحد الكتب المؤلفة في تأصيل التفسير الموضوعي، ثم عرّف به مبيئاً: اسمه، اسمه مؤلفه، اسم ناشره ومكانه، رقم الطبعة وتاريخها، محتوى الكتاب إجمالاً.

[س٢]:

اختر أحد الكتب المؤلفة في الموضوعات القرآنية أو السور المدروسة دراسةً موضوعياً، ثم عرّف بها مبيئاً: اسم الكتاب، اسم مؤلفه، اسم ناشره ومكانه، رقم الطبعة وتاريخها، محتوى الكتاب إجمالاً، مدّى التزامه بمنهج التفسير الموضوعي.

[س٣]:

اختر أحد الموضوعات التالية: الصدقة، نوح عليه السلام، الرحمة، الإحسان، ثم اجمع الألفاظ القرآنية الواردة فيها، من خلال أحد معاجم الألفاظ مبيناً عدد الألفاظ، وصيغها، وعدد السور والآيات الواردة فيها.

[س٤]:

اختر أحد الموضوعات التالية: الحج، بر الوالدين، قصة مريم، رعاية اليتيم، العفو، ثم اجمع الآيات الواردة فيها من خلال أحد معاجم الموضوعات مبيناً الألفاظ الواردة فيه، وعدد السور والآيات المذكور فيها.

[س٥]:

بيّن المناسبات التالية في سورة الأحزاب: المناسبة بين أول السور وخاتمة ما قبلها، المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وجه الصلة بين ثلاث آيات منها.

[س٦]:

حاول أن تكتشف مقاصد السور التالية: السجدة، الحجرات، القارعة.

[س٧]:

اختر أحد المفردات التالية: الزكاة، الأمة، الكتاب، الصدق، ثم اجمع الآيات الواردة فيها مبيناً صيغها ومعانيها.



القسم الثاني

نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي

النموذج الأول: مثال تطبيقي لتفسير موضوع قرآني تفسيرًا موضوعيًا.

الشُّرك أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم.

النموذج الثاني: مثال تطبيقي لتفسير سورة قرآنية تفسيرًا موضوعيًا.

سورة المجادلة دراسة موضوعية.

النموذج الثالث: مثال تطبيقي لتفسير مفردة قرآنية تفسيرًا موضوعيًا.

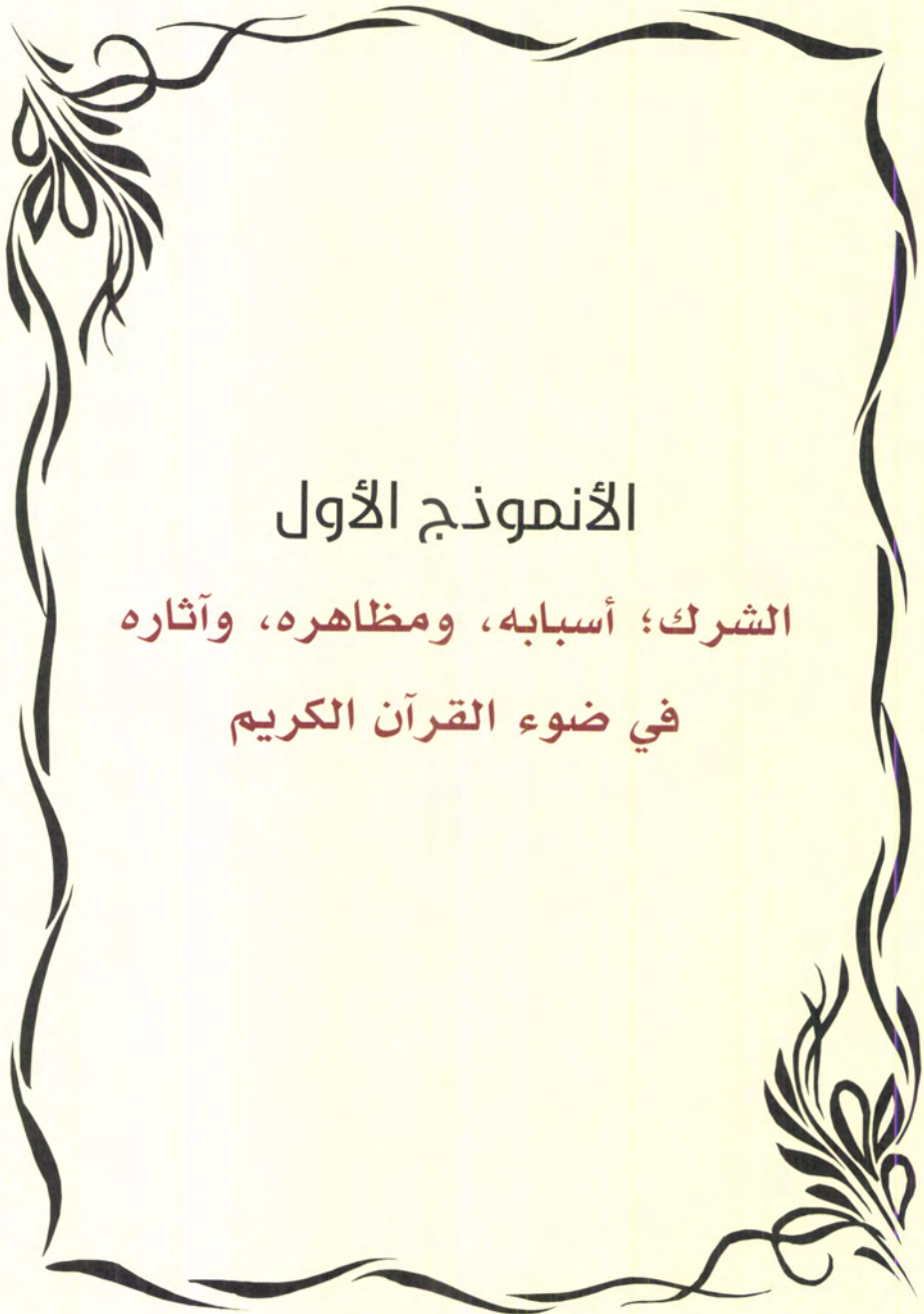
مفردة «الْفِتْنَةُ» في القرآن الكريم معانيها ودلالاتها.





الأنموذج الأول

الشرك؛ أسبابه، ومظاهره، وآثاره
في ضوء القرآن الكريم





مقدمة

المتأمل في آيات الكتاب الحكيم يجد الاهتمام البالغ والعناية الكبيرة بأمر الشرك؛ حيث ساق الأدلة الكثيرة والبراهين المتنوعة لبيان بطلانه، وسلك المناهج المتعددة في مخاطبة أهله ومجادلتهم، كما بيّن أسباب وقوع الناس فيه، وذكر مظاهره، وآثاره، وما ذاك إلا لشناعته وبشاعته، وخطره العظيم على الأفراد والجماعات، ولا غرور في ذلك فما أرسلت الرسل، ولا أنزلت الكتب، ولا أقيم الجهاد إلا لتوحيد الله تعالى بالعبادة واجتناب الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ونظرًا لسعة الموضوع وطوله وكثرة مباحثه اقتصر على بعض جوانبه^(١)، وجعلت ذلك في تمهيد وثلاثة فصول، ذكرت في التمهيد تعريف الشرك ومراتبه وحديث القرآن عنه، وفي الفصل الأول تحدثت عن أسبابه، وفي الفصل الثاني ذكرت مظاهره، وفي الفصل الثالث آثاره، في ضوء ما ورد في ذلك من آيات كريمة، وسمّيته: «الشرك أسبابه ومظاهره وآثاره في ضوء القرآن الكريم».

(١) وهو مُستلٌّ من بعض أبواب رسالتي للماجستير «منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك» - وهي مطبوعة - مع الاختصار والتهديب.







تمهيد

تعريفُ الشُّرك، ومراتبه، وحديثُ القرآن عنه



تعريفُ الشُّركُ في اللغة:

الشُّركُ في اللغة: «هو الاشتراك مطلقاً، وعدم الانفراد»^(١).
والشريك: المشارك، والشُّركُ كالشريك، والجمع: أشراك وشركاء،
كما يقال: شريف وأشراف وشرفاء^(٢).
ومما سبق يتبين أن الشرك في اللغة يطلق على الاشتراك مطلقاً،
وعدم الانفراد.

تعريفُ الشرك في الشرع:

الشُّركُ في الشرع: أن يجعل الإنسان لله شريكاً في ربوبيته أو
ألوهيته أو أسمائه وصفاته^(٣).
وهو ضدُّ التوحيد، وإذا أُطلق في الكتاب والسنة وكلام السلف

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٥/٣.

(٢) انظر: لسان العرب ٢٢٤٨/٤، وتهذيب اللغة ١٦/١٠.

(٣) انظر: الاستقامة لابن تيمية ٣٤٤/١، ومعارج القبول ٢٦٨/١، وتفسير

السعدي ٤٩٩/٢.



فإنه ينصرف إلى الشرك في الألوهية، وهو مقصودي في هذا البحث، حيث إنه أول ما نهت عنه الرسل، وهو أكثر شرك الأمم، مع العلم أن الشرك في الألوهية مستلزم للشرك في الربوبية والأسماء والصفات، فإن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة^(١).

الفرق بين الكفر والشرك:

الكفر أعظم وأشمل من الشرك، فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً، حيث إن الشرك يتضمن وجود مشارك لله تعالى في أحد حقوقه، بخلاف الكفر فإنه عدم الإيمان مطلقاً سواء كان بالشرك، أم بجحد النبوة، أو بتكذيب الله تعالى أو رسوله ﷺ، أو غير ذلك من نواقض الإيمان، فالشرك نوع من أنواع الكفر^(٢).

مراتب الشرك:

الشرك في الألوهية ليس مرتبة واحدة، بل هو مراتب بعضها أغلظ من بعض، وقد اختلف العلماء في تقسيمه، فبعضهم جعله ثلاث مراتب: أكبر وأصغر، وخفي، وبعضهم جعله مرتبتين: أكبر، وأصغر^(٣)، والأرجح - والله تعالى أعلم - أن الشرك الخفي - الرياء - داخل تحت الشرك الأصغر، ثم إن الشرك الأصغر عموماً قد يرتقي

(١) انظر: معارج القبول ١/١٧٩، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ١٢.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص ٤٩٣، والشرك الأصغر حقيقته وأحكامه ص ١٧.

(٣) انظر: شرح نواقض الإسلام ص ٢٣.



إلى درجة الشرك الأكبر بنّية صاحبه ومقصده^(١).

تعريف الشرك الأكبر:

اختلفت تعريفات العلماء للشرك الأكبر وإن اتفقت في مدلولاتها ومعانيها، ومن أجمع هذه التعريفات ما يلي:

- «هو أن يتخذ من دون الله ندًا يحبُّه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين»^(٢).

- «أن يسوّي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله»^(٣).

تعريف الشرك الأصغر:

اختلفت تعريفات العلماء للشرك الأصغر، ومن أجمع تعريفاته تعريف الشيخ عبد الرّحمن السعدي حيث يقول: «حدُّ الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»^(٤).

الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر:

سبق بيانُ الفرق بينهما من حيث الحد، وهنا أذكر الفروق بينهما من حيث الأحكام المترتبة عليهما في الدنيا والآخرة، وهي كما يلي:

١ - الشرك الأكبر مخرج عن الإسلام، بخلاف الأصغر فإنه لا يخرج

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٣/١.

(٢) وهو تعريف ابن القيم، مدارج السالكين ٣٦٨/١.

(٣) وهو تعريف عبد الرّحمن بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد ص ٥٠.

(٤) القول السديد ص ٤٨، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص

صاحبه عن الملة، وعلى هذا فإن المشرك شركًا أكبر تجري عليه أحكام الكفار في الدنيا.

٢ - الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، بخلاف الأصغر فإنه لا يبطل إلا العمل الذي قارنه.

٣ - الشرك الأكبر موجب للخلود في النار، ومانع من دخول الجنة، بخلاف الأصغر فإنه لا يوجب الخلود في النار.

٤ - الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة منه، بخلاف الأصغر فإنه واقع تحت المشيئة الإلهية، إن شاء الله غفر لصاحبه، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة^(١).

حديث القرآن عن الشرك:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد العناية الكبيرة بموضوع الشرك، حيث لا تكاد تخلو سورة من سوره المكية أو المدنية من الحديث عن الشرك والمشركين، بل إن القرآن كله تقرير للتوحيد، ونهي عن ضده وهو الشرك.

ومما يدل على ذلك أن مادة (شَرَك) وردت في القرآن قرابة ثمانين ومائة مرة، مع العلم أن الحديث عن الشرك وأهله في القرآن ليس مقتصرًا على هذه اللفظة وما تصرف منها، بل ورد ذكره بألفاظ أخرى كالأنداد والشُفعاء والآلهة والأولياء، أو عبادة غير الله.

(١) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر ص ٣٥، الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه ص ٣٨، القول المفيد على كتاب التوحيد ١/١١١، وهذه المسألة محل خلاف بين العلماء. انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٥١.

وقد اشتملت هذه الآياتُ الكثيرةُ جدًّا على بيان بطلانه وضلال أهله، كما تحدّثتُ عن أسبابه، ومظاهره، وآثاره في الدنيا والآخرة، وتضمنتُ كذلك حاجةً أهله بطرق متنوعة وأساليب مختلفة.





الفصل الأول

أسباب الشرك في ضوء القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين.

المبحث الثاني: التقليد.

المبحث الثالث: اتباع الهوى.

المبحث الرابع: الكبر.

المبحث الخامس: إهمال العقل وعدم التفكير في آيات الله

تعالى.





مدخل

الأصل في بني آدم التوحيد، وقد ظلوا على عقيدة التوحيد قرونًا عديدة، ثم اختلفوا، ووقع فيهم الشرك، فبعث الله تعالى إليهم الأنبياء داعين إلى التوحيد، ناهين عن الشرك، مبشرين من أطاع الله ﷻ ووحدَه بالسعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، منذرين من عصاه وخالف أمره بالشقاوة في الدنيا، والنار يوم القيامة، وأنزل الله ﷻ معهم الكتب الإلهية المشتملة على البراهين الواضحة، والشرائع المحكمة والآداب الفاضلة ليحكموا بها بين الناس فيما يختلفون فيه ويتنازعون، كما قال الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين نوح و آدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي قراءة عبد الله ^(١): ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ ^(٢)».

ومما يدل أيضًا على أن الناس كانوا أمةً واحدة على التوحيد

(١) أي: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٤٤/٢.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٣٤٧/٢، وعن قتادة قال: «كانوا على الهدى جميعًا فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول من بعث نوح». تفسير ابن جرير ٣٤٧/٢.



والإيمان قولُ الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾
[يونس: ١٩].

وقد دلَّت السُّنَّةُ على ذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»^(١).

وإذا تقرر أن الأصل في البشرية التوحيد، وأن الشرك طارئ عليهم، فإن لحدوث الشرك في الأمم أسباباً أدت إلى ظهوره وانتشاره، وفي المباحث الآتية بيان لأهم أسباب الشرك الواردة في القرآن الكريم.



(١) أخرجه البخاري ٢٤٦/٣ (ح ١٣٨٥)، ومسلم ٢٠٤٧/٤ (ح ٢٦٥٨).





المبحث الأول

الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين



إن من أعظم أسباب الشرك الغلو^(١) في المخلوق، وتعظيمه، ورفعته فوق منزلته التي أنزله الله إياها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر المعظمين»^(٢).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن الغلو وتحذر منه، وتبين أنه من أسباب الشرك والضلال، وذلك بأساليب متنوعة منها:

١ - الإخبار بأن أول شرك حدث في الأرض كان سببه الغلو، كما أخبر الله تعالى عن قوم نوح عَلَيْهِمُ السَّلَام أنهم حينما دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك كذبوه وردوا دعوته: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ ءَالِهَتَكَ وَلَا تَدْرَأُ وَا لَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]؛ أي: قال لهم سادتهم ورؤساؤهم: «لا تتركوا عبادة هذه الأوثان: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر»، وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، غلا فيهم

(١) الغلو في اللغة: مجاوزة الحد، انظر: لسان العرب ٣٢٩/٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٤.



أتباعهم، فلما ماتوا صوروا لهم تماثيل وسموها بأسمائهم لكي يتذكروهم فينشطوا في العبادة، فال بهم الأمر إلى الشرك، فعبدوهم من دون الله^(١).

٢ - النهي الصريح، فقد نهى الله ﷻ في القرآن الكريم عن الغلو بلفظه الصريح، وذلك في آيتين:

الأولى: قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَتَأْهَلَّ الْكُتُبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ففي هذه الآية ينهى الله ﷻ أهل الكتاب^(٢) عن الغلو في دينهم، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام حتى رفعوه إلى مقام الألوهية فعبدوه من دون الله، بل غلوا في أتباعه؛ فقدسوهم وادّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل شيء، حتى في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]^(٣).

وهذا الخطاب وإن كان موجهاً لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل اليهود والنصارى^(٤).

وأما الآية الثانية: فهي قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿قُلْ يَتَأْهَلَّ

(١) انظر: صحيح البخاري ٦٦٧/٨ (ح ٤٩٢٠)، وتفسير ابن جرير ٢٥٤/١٢.

(٢) جمهور المفسرين على أن المراد بأهل الكتاب في هذه الآية وفي آية المائدة الآتي ذكرها: النصارى خاصة، وقال بعضهم المراد: اليهود والنصارى، فيكون غلو اليهود في عيسى على هذا القول هو الإفراط في ذمه ووصفه بما لا يليق به. انظر: زاد المسير ٢٢٤/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٦٠٨/١.

(٤) فتح المجيد ص ١٧١.

الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ [المائدة: ٧٧].

ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن ينهى أهل الكتاب عن الغلو الباطل في أمر المسيح ﷺ، حيث تجاوزوا فيه منزلة العبودية لله ﷻ، وجعلوه في منزلة الألوهية، كما يأمره تعالى أن ينهاهم عن اتباع أهواء من سبقهم من اليهود، ومشايخ الضلال الذين ضلوا في أنفسهم، وأضلوا كثيراً من الخلق، وحادوا عن الطريق المستقيم إلى طريق الغواية والضلال^(١).

٣ - وصف الغلو بأنه اعتداء، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، فإن الله تعالى لما مدح الرهبان في الآيات التي تقدمتها^(٢)، وكان ذلك داعياً إلى الترهّب، عقّب ذلك بالنهي عنه في هذا الدين، فإنه تعالى بناه على التوسط رحمة لأهله ولطفاً بهم، وتشريفاً لنبِيِّهم ﷺ^(٣).

وقد تتابعت نصوص السُّنَّة أيضاً في النهي عن الغلو، والتحذير منه في الاعتقادات والأعمال والألفاظ وبأساليب متنوعة، والأحاديث في هذه المعنى كثيرة معلومة^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٦٥٥/٤، وتفسير ابن كثير ٨٥/٢.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ﴾ [المائدة: ٨٢].

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢٧٤/٦، وانظر: تفسير ابن جرير ٩/٥.

(٤) انظر: رياض الصالحين للإمام النووي ص (٩٤).



ومع هذه النصوص الكثيرة الناهية عن الغلو، المحذرة منه، المبيّنة لأضراره، وقع كثير من المسلمين في الغلو، وتلبّسوا بكثير من مظاهره، لا سيما في الأزمان المتأخرة، فقد رفعوا النبي ﷺ إلى مقام الألوهية، ودعوه من دون الله، وأقاموا الموالد المبتدعة، وعظّموا كثيرًا من الأولياء والصالحين، وتبركوا بآثارهم، وبنوا على قبورهم المساجد والقباب، وطافوا بها كما يطوفون بالكعبة، واستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، بل لم يقتصر الأمر على الغلو في الأولياء والصالحين، حيث غلا بعض الناس بالمجاهيل، والمنافقين، والفسقة^(١).



(١) انظر: صراع بين الحق والباطل، للأستاذ سعد صادق محمد.





المبحث الثاني

التقليد



التقليد^(١) سبب كبير من أسباب الشرك، وعقبة كَوُود^(٢) وقفت في طريق التوحيد، وشبهة اتفقت عليها جميع الأمم؛ لتردَّ بها دعواتِ الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن التقليد، ولكن بلفظ: «الاتباع»، ويبيّن أنه ليس مذموماً على الإطلاق، بل منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، فما كان تقليداً لرسول الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو المؤمنين الصالحين فهو تقليد محمود مثاب صاحبه^(٣).

وما كان تقليداً للكفار والفسّاق والمشركين فهو تقليد مذموم^(٤).

(١) التقليد في اللغة: مصدر قلّد، قال في المعجم الوسيط ٧٥٤/٢: «قلّده القلادة: جعلها في عنقه، وقلّد فلاناً: اتبعه فيما يقول من غير حجة ولا دليل، وقلّد فلاناً: حاكاه». والتقليد بهذا المعنى هو المقصود هنا.

(٢) أي: شاقّة المصعد. مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٣) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار سعيد ص ١٦١.

(٤) وقال المراغي في تفسيره ٤٥/٢: «ليس هذا بتقليد؛ بل اتباع لما أنزل الله».



أنواع التقليد في القرآن الكريم:

□ النوع الأول: التقليد المحمود، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تقليد الرسل **عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ فإن اتباعهم والاقتراء بهم في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم أمر مطلوب، بل هو واجب، إذ هم المبلغون عن الله، المبعوثون لهداية البشر، اختارهم الله **ﷺ** على علم على العالمين.

ولذلك أمر الله **ﷺ** باتباعهم، وأثنى على المقتدين بهم.

قال الله **ﷻ** حاثًا على الاقتداء برسوله **ﷺ** مؤكدًا وجوب اتباعه والتزام هديه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
والأسوة: القدوة^(١).

القسم الثاني: تقليد المؤمنين الصادقين، فإن تقليدهم محمود ممدوح صاحبه، ولكن بشرط أن يكون ما قلدوا فيه أمرًا مشروعًا موافقًا للكتاب والسنة.

قال تعالى بعد أن ذكر بعض كرامات المتقين وما أعده لهم من أنواع النعيم في الجنة: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

□ النوع الثاني: التقليد المذموم، والذي هو من أكبر أسباب الشرك، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تقليد الآباء الضالين، وهو الذي تمسكت به جميع

(١) قال الراغب: «الأسوة والإسوة كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا». المفردات ص ٧٦.

الأمم الشركية، وآثرته على اتباع الرسل **عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وإنما احتجت به وتمسكت لأنه ليس لديها دليل صحيح على صحة ما هي عليه من الشرك والضلال، ولذلك أنكر الله تعالى على المشركين هذا التقليد الباطل، وكشف زيفه وسخر من أهله.

فحينما ذكر الله تعالى عن مشركي العرب مقولتهم الكاذبة في أن الملائكة **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** بنات الله - تعالى الله عن ذلك -، وأنهم اتخذوا الأصنام على صورهم وعبدوها من دون الله، بين أنه ليس لهم دليل صحيح على ما ادَّعوه، وإنما هو محض التقليد الأعمى لآبائهم وأجدادهم الضالين، ثم قال مسلماً لرسوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** مخبراً أن جميع الأمم قد شابته أمته في هذه المقولة الكاذبة، وسبقها إلى هذه الشبهة الباطلة: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١)؛ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٣]، ثم ذكر **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** جواب كل رسول لقومه: ﴿قُلْ أَوْلَوْا جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؛ أي: أفرايتم إن جئتم بدين أهدى من دين آبائكم هل أنتم متبعي؟ وهنا أعلنوا كفرهم وعنادهم وإصرارهم على الشرك، حتى وإن علموا صدق رسلهم، وفساد ما كان عليه آبائهم: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٤]، ولما كان هذا جوابهم ذكر الله جزاءهم العادل: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٥].

وقد حكى الله تعالى هذه المقولة الباطلة عن عدد من الأمم،

(١) قوله: ﴿أُمَّةٍ﴾؛ أي: طريقة ومذهب، وقوله: ﴿مُتْرَفُوهَا﴾؛ أي: أغنياؤها



وذلك في ثنايا قصصهم مع أنبيائهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١).
وحكى الله تعالى عن مشركي العرب أنهم إذا دعوا إلى اتباع ما
أنزل الله من البينات والهدى، واتباع الرسول ﷺ أبوا وأعرضوا عن
ذلك مكتفين بما ورثوه عن آبائهم من الشرك والضلال المبين كما
قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا﴾، قال الله تعالى منكرًا عليهم هذا التقليد الأعمى، مبيِّنًا
بطلان هذه المقالة الفاسدة: ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا
وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فإذا كانوا بهذه الحالة فكيف يصح تقليدهم واتباعهم!

القسم الثاني: تقليد السادة والرؤساء الضالين، وهذا سبب كبير
من أسباب الشرك كما تقدم، فإن الناس يحرصون على تقليد كبارهم
وساداتهم، ومشابهتهم، وذلك لما يرجونه منهم من المطامع الدنيوية،
كما أن أولئك السادة والكبراء يبذلون كل ما يستطيعون لكي يصرفوا
الناس عن توحيد الله ﷻ والإيمان برسله، حتى يُيقوهم بين أيديهم
كالقطعان السائبة يُصَرِّفونها كما يشاؤون.

قال تعالى عن قوم نوح **عليه السلام**: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمُمْ عَصَوْتِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ
يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

وقال تعالى عن قوم هود **عليه السلام**: ﴿وَتِلْكَ ءَعَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا
رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عِنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

وقال **عليه السلام** عن قوم فرعون: ﴿إِنِّي فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ فَأَتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧].

(١) انظر: سورة المؤمنون: آية ٢٤، وهود: آية ٦٢، و٨٧، والشعراء: آية ٨٤.

ولذلك يندم المقلدون للسادة الطواغيت، المؤثرون اتباعهم على اتباع الرسل، وذلك حينما يعاينون العذاب يوم القيامة، ويكتوون بنار جهنم، ولات ساعة مندم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

ومما يؤسف له أن هذا التقليد الأعمى لم يزل موجوداً في هذه الأمة الإسلامية خصوصاً في أبواب الاعتقاد، فإن كثيراً من المسلمين حينما يُنكر عليه ما عنده من الشرك والبدع، ويُبين له مخالفة ذلك للكتاب والسنة، يأبى ذلك الإنكار ويصرُّ على البقاء على ما هو عليه من الشرك والبدع والضلال، محتجاً بأنه ورث هذا العمل كابراً عن كابر، أو بأن الشيخ الفلاني يعمل هذا العمل ويأمر به، وهذا هو التقليد الأعمى الذي نهى الله تعالى عنه، وهذا هو عين الإعراض عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.





المبحث الثالث

اتباع الهوى



الهوى^(١) مرض خطير، وداء جسيم، متى ما غلب على الإنسان انطمس قلبه، وعميت بصيرته، وتحكمت فيه شهوته.

ولما كان الهوى بهذه الصفة كان اتباعه وتقديمه على حكم الله وشرعه من أسباب الشرك وعوائق التوحيد، بل إن الهوى نفسه إله يعبد من دون الله، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن اتباع الهوى، وحذر منه بأساليب متنوعة منها:

١ - النهي الصريح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَاهُ أَنْ تَعْدِلُوا﴾

[النساء: ١٣٥].

٢ - أن الله ﷻ جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن^(٢)، قال

(١) الهوى - بالقصر - في اللغة: هوى النفس؛ أي: إرادتها، والجمع: أهواء،

انظر: لسان العرب ٤٧٢٨/٨، واصطلاحاً: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع، التعريفات للجرجاني ص ٢٥٧.

(٢) انظر: روضة المحبين ص ٤٠٦.



﴿عَلَّمَ﴾: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

٣ - تشبيه أتباع الهوى بأخس الحيوانات صورة ومعنى وهو الكلب^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

٤ - الإخبار بالشواب الجزيل لمن نهى نفسه عن هواها، كما قال ﴿عَلَّمَ﴾: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٥ - النهي عن طاعة أهل الأهواء، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٦ - الإخبار بأن اتباع الهوى ظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

٧ - الإخبار بأن متبع الهوى أضلُّ الناس، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

ولما أنكر الله تعالى على المشركين عبادة الأصنام، واتخاذهم البيوت لها مضاهاةً للكعبة، بين أنه ليس لهم دليل أو حجة على ما ادعوا فيها من الإلهية، بل هي أسماء مجردة، حملهم على عبادتها وتأليها ظنونهم الكاذبة، وأهواؤهم الباطلة، معرضين بذلك عما

(١) انظر: المرجع السابق ص ٤٠٥.



أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى^(١)، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَئِ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿النجم: ١٩-٢٣﴾.

والناظر في حال الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً يجد أن اتباع الهوى سببٌ كبير للشرك، وذلك من وجهين:

الأول: أن بعض المسلمين ابتدعوا بدعاً استحسنوها بأرائهم، ونظروها بأهوائهم، فآل بهم الأمر إلى الشرك، وهذا كثير في المسلمين.

الثاني: أن كثيراً من المسلمين حينما يُنكر عليه وينهى عما يقع فيه من الشرك يأبى ويصرُّ على ما هو عليه، وذلك لغلبة الهوى على قلبه.



(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٧١، وتفسير السعدي ٧/٢٠٨.





المبحث الرابع

الكبر



الكبر ^(١) عِلَّةٌ خفية، وُخِلِقَ ذمِيم، وذنَبٌ عَظِيم، ولذلك كان سببًا كبيرًا من أسباب الشرك وعائقًا منيعًا في طريق التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارًا عن عبادة الله، وكان مشركًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَقَتُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤] إلى قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٧]» ^(٢).

وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن كثير من الأمم أنهم

(١) الكِبْرُ في اللغة: يقال كَبُرَ - بالضم - يكْبُرُ؛ أي: عظم فهو كبير، والكبرياء: العظمة والملك، ولا يوصف بها إلا الله تعالى، انظر: لسان العرب ٣٨٠٧/٦. وقال الراغب: «الكبرُ الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر: التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة». المفردات ص ٦٩٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/١٩٧.



رفضوا التوحيد الذي جاءت به الرسل، وبقوا على شركهم عنادًا واستكبارًا من بعد ما تبين لهم الحق:

فقال عن قوم نوح على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْسَفُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

وقال سبحانه عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَنْصَلِحُوا لِمَنْ رَبَّهُ قَالَوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

وقال عليه السلام عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال عليه السلام عن فرعون وقومه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥].

وقال عليه السلام عن اليهود: ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال سبحانه عن مشركي العرب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

«والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للمبالغة؛ أي: يتعاضمون عن أن يقبلوا ذلك من رجل مثلهم»^(١).

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٠٧/٢٣.



وقد وردت النصوص القرآنية الكثيرة محذرةً من الكبر، موضحةً خطورته، مبيّنةً جزاء من اتصف به، وذلك بأساليب مختلفة منها:

١ - الإخبار بأن سبب كفر إبليس ولعنته وإخراجه من الجنة إنما هو الكبر، فهو أول ذنب عُصي الله ﷻ به، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ [الأعراف: ١١ - ١٣].

«وقد كرر الله ذكر هذه القصة في كتابه، وأخبر فيها أن امتناع إبليس من السجود كان كبراً منه وكفراً ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة^(١) تعنتاً وإلا فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر»^(٢).

٢ - النهي عن أخلاق المتكبرين، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. قال القرطبي: «معنى الآية: ولا تُمَلِّ خَدَّكَ للناس كِبْرًا عليهم، وإعجاباً واحتقاراً لهم»^(٣).

٣ - الإخبار بأن النار دار المتكبرين، وأن الجنة محرمة عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين ذليلين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فإنهم لما تكبروا عن عبادة الله تعالى في

(١) وهي قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

(٢) بدائع الفوائد ٤/٣٢٠ بتصرف يسير، وقد فند ابن القيم رحمه الله هذه

الشبهة من خمسة عشر وجهًا. (٣) تفسير القرطبي ٤٧/١٤.



الدنيا ألبسهم ثوب الذل والصغار في الآخرة والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٤ - الإخبار بأن الله ﷻ لا يحب المستكبرين، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

٥ - الإخبار بأن من صفات الملائكة التي يُحمدون عليها أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

٦ - الإخبار بأن الله تعالى يَصْرِفُ قلوب المتكبرين عن فهم آياته، ويطلع عليها فلا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، وذلك جزاء تكبرهم عن عبادة الله، وتجبرهم على خلقه بغير حق، كما قال ﷻ: ﴿سَاءَ صِرْفًا عَنِ عَائِنَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾ [غافر: ٣٥].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تحذر من الكبر وتبين عاقبته، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١).

والمأمل في حال المسلمين يجد أن هذا الخلق الذميم - عافانا الله تعالى منه - لا يسلم منه إلا القليل، فمستقل منه ومستكثر، ويتجلى ذلك في مظاهر كثيرة، أهمها وأخطرها التكبر عن قبول الحق والرجوع عن الباطل، والاعتراف بالخطأ، وهذا من أسباب بقاء كثير من الشركيات، والعقائد المنحرفة بين المسلمين.



(١) أخرجه مسلم ٩٣/١ (ح ١٤٧).





المبحث الخامس

إهمال العقل، وعدم التفكير في آيات الله تعالى



إن من أجل نعم الله تعالى على الإنسان نعمة العقل التي فُضِّلَ بها على سائر المخلوقات، فبالعقل يميز الإنسان الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والطيب من الخبيث. وقد جاءت الشرائع السماوية موافقةً للعقول السليمة، والفطر المستقيمة، ولذلك دلت العقول السليمة على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وبطلان الشرك.

قال القرطبي عند قوله ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]: «أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، وليس منها شيء منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل، وإن لم ينزل به الكتاب»^(١).

وقال ابن القيم: «قال تعالى: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يقل: إلهكم، والرب: هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله ﷻ هو الرب بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول

(١) تفسير القرطبي ١١٨/٥.



والفطر من عبادة مَنْ هذا شأنه وحده لا شريك له»^(١).

ولهذا ينكر الله تعالى في القرآن الكريم على المشركين إهمال عقولهم وعدم الاستدلال بها على وحدانيته ﷻ، فهناك آيات كثيرة في سياق مجادلة المشركين، وإبطال شركهم يختمها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

ومن أعظم وظائف العقل التي خلق من أجلها التفكير^(٢) في آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته، وإلهيته، وقدرته، وعظمته، وحكمته، ورحمته.

وقد حثَّ الله تعالى في القرآن الكريم على التفكير في آياته، وأثنى على المتفكرين المستبصرين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١١٠] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

كما ذم الله ﷻ من لا يتفكر في مخلوقاته الدالة على وحدانيته وعظمته، قال ﷻ: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٣١٥/٤، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/٤٩١، لكن الله تعالى لا يؤاخذ الناس إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

(٢) قال ابن منظور: الفكر: إعمال الخاطر في الشيء... وقال الجوهري: «التفكر: التأمل». لسان العرب ٣٤٥١/٦.

وآيات الله تعالى التي أمر بالتفكر فيها نوعان:

النوع الأول: الآيات المتلوة المسموعة، وهي آيات القرآن الكريم، فإن القرآن إنما نزل لِيَتَدَبَّرَ^(١) الناس آياته ويتفكروا فيها «فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها»^(٢)، كما قال ﷺ: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ولهذا أنكر الله ﷻ على المشركين إعراضهم عن تدبر القرآن، والتفكر في آياته، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

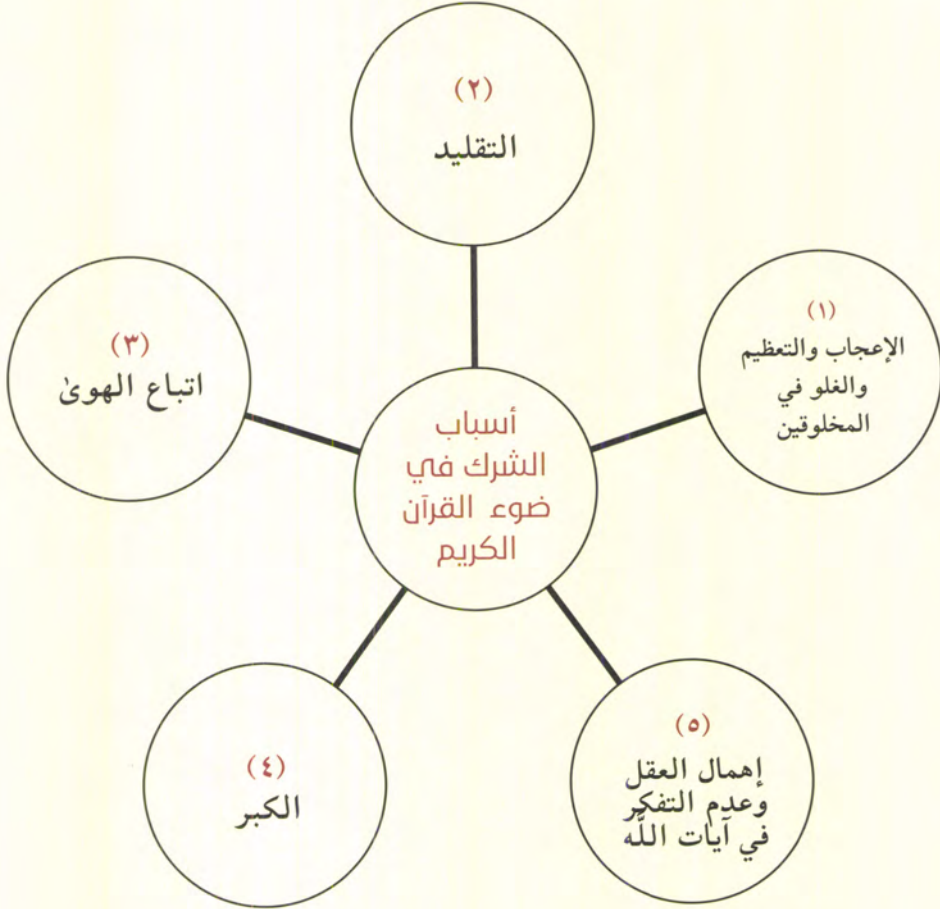
النوع الثاني: الآيات الكونية المرئية، وهي ما نشاهده في هذا الكون الفسيح من الدلائل الواضحة، والبراهين الساطعة، والمشاهد الباهرة، في الأنفس والآفاق، والتي تشهد بأن لهذا الكون ربًا عظيمًا قديرًا لا تنبغي العبادة إلا له ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا، والمقصود بيانه هنا هو أن الإعراض عن تدبر آيات الله ﷻ المسموعة والمرئية، وعدم التفكير فيها سبب كبير من أسباب الشرك، فقد أسلم كثير من الناس قديمًا وحديثًا حينما قرعت أسماعهم آيات القرآن الكريم، فأنصتوا لها متدبرين، وتأملوها متجردين، وأسلم

(١) التَدَبَّرُ في اللغة: النظر في عاقبة الشيء، انظر: معاني القرآن للزجاج ٨٢/٢، وقال الجرجاني: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب» التعريفات ص ١٧. وتدبر القرآن: «التفكير في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء» تفسير أبي حيان ٣٣٨/٩.

(٢) تفسير السعدي ٤١٨/٦



آخرون حينما انكشفت لهم بعض مظاهر عظمة الخالق المتمثلة في بديع صنعه وعجيب خلقه.



الفصل الثاني

مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم.







المبحث الأول

مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم



المطلب الأول: شرك المحبة:

إن الباعث على كل عمل هو المحبة، فالإنسان لا يعمل عملاً من الأعمال إلا وهو محب له، أو لما يترتب عليه من جلب منفعة أو دفع مضرة، وعبادة الله ﷻ مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة^(١)، كما أن أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة^(٢)، «ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله»^(٣).

أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين:

القسم الأول: المحبة الخاصة، وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل والتعظيم والطاعة للمحبوب، وهذه خاصة بالله تعالى، وصرفها لغيره شرك أكبر.

(١) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ١٤١/٢.

(٢) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل لابن تيمية ٢٥٥/٢.

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ١٤١/٢.



القسم الثاني: المحبة المشتركة، وهي خمسة أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وهي محبة ما يحبه الله ﷻ من الأشخاص كالأنبياء والصالحين، أو الأعمال كالصلاة والزكاة، وهذا النوع واجب على المكلف.

النوع الثاني: محبة إجلال وإعظام كمحبة الولد لوالده.

النوع الثالث: محبة إشفاق ورحمة، كمحبة الوالد لولده.

النوع الرابع: محبة أنس وإلفة، كمحبة الصديق لصديقه، والأخ لأخيه.

النوع الخامس: المحبة الطبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمان للماء^(١).

وهذه الأنواع الأربعة الأخيرة جائزة، لا يؤاخذ الإنسان بحبها، ولا تُعد شرکاً، بل قد تكون مندوبة، وذلك إذا اقترنت بالنية الصالحة، كأن يحب الولد والده امتثالاً لأمر الله وقياماً بواجب البر، ويحب الإنسان الطعام لكي يعينه على طاعة الله وهكذا، لكن يشترط أن لا تزاحم هذه المحبة محبة الله، بحيث يترتب عليها الإخلال بشيء من أمر الله وشرعه، فإنها حينئذٍ تكون مذمومة، بل قد تكون شرکاً، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] ففي هذه الآية يأمر الله تعالى

(١) انظر: القول السديد ص ١١٢، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص

٢٣٦، وشرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ١٤١/٢.

رسوله ﷺ أن يتوعد من قدم محبة هذه الأمور الثمانية على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة، وأما من أحبها ولم يُؤثرها على محبة الله أو يساويها بها فهو غير مذموم. وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم لمحبه علامات تعرف بها، فمنها:

١ - تقديم ما يحبه الله ﷻ ويرضاه على ما تحبه نفسه وتهواه، كما في الآية السابقة.

٢ - اتباع الرسول ﷺ، وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال بعض السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية^(١).

- ٣ - الذلة على المؤمنين؛ أي: اللين والرفق والرحمة بهم.
- ٤ - العزة على الكافرين، وذلك بالشدة عليهم والغلظة والرفعة.
- ٥ - الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.
- ٦ - الثبات على الحق، ونصرته، والدعوة إليه، وعدم الالتفات إلى لوم الناس وتنقصهم.

ويدل على هذه العلامات الأربع الأخيرة قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٦.



□ الشرك في المحبة:

أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وأصل الشرك به الشرك في المحبة^(١)، فمن أحب أحدًا من الخلق كما يحب الله ﷻ فهو مشرك شركًا أكبر، كما قال ﷻ عن المشركين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن الله ﷻ لما بيّن في الآيتين اللتين تقدمتا هذه الآية^(٢) انفرادَه بالوحدانية بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة ذكر في هذه الآية أن من الناس - مع هذا البيان التام - من اتخذ من دون الله أمثالًا ونظراء يساؤونهم بالله في العبادة، والمحبة، والتعظيم^(٣)، ثم مدح ﷻ المؤمنين مبنياً أنهم أشد حُبًا لله من أهل الأوثان لأوثانه^(٤)؛ لأن محبتهم له خالصة بخلاف محبة المشركين فإنها ممزوجة بمحبة أندادهم، وفي ختام الآية يتوعد ﷻ هؤلاء المشركين الظالمين لأنفسهم باتخاذهم الأنداد ومحبتهم لها؛ مخبرًا عن حالهم حينما يعاينون العذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعلمون فيه علم

- (١) القول السديد ص ١١٠، والشرك الأكبر حقيقته وحكمه وأنواعه ١٣٦/١.
- (٢) وهما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٣٦) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿الآيتان [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].
- (٣) انظر: تفسير السعدي ١٩٥/١، وقيل المراد: يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، تفسير ابن جرير ٧١/٢.
- (٤) هذا قول أكثر المفسرين انظر: تفسير ابن جرير ٧١/٢، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المراد: أشد حُبًا لله من محبة أهل الأوثان لله. الفتاوى ٣٥٨/٨.

اليقين أن القوة والقدرة والأمر والحكم لله وحده لا شريك له، وأن الله شديد العذاب لمن أشرك به وعصاه^(١).

وقد انتشر هذا النوع من الشرك بين كثير من المسلمين - مع الأسف الشديد - ويتجلى ذلك في مظاهر كثيرة من أخطرها وأكثرها انتشارًا الغلو في محبة النبي ﷺ والأولياء والصالحين، وتعظيمهم تعظيمًا يضاهاى تعظيم الله، وقد تقدم الكلام على هذا الأمر في مبحث الغلو في الفصل الأول.

المطلب الثاني: شرك الخوف:

الخوف^(٢) من الله من أعظم العبادات وأجلّ المقامات، ولذلك يجب إخلاصه لله ﷻ.

□ والخوف من غير الله ﷻ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بقدرته ومشيئته، ويسمى خوف السر، وهذا شرك أكبر.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٩٥/١، وتفسير السعدي ٢٠٨/١.

(٢) الخوف لغة: الفرع، وعرفه بعضهم بقوله: «توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة» لسان العرب ١٢٩٠/٣، المفردات ص ٣٠٣. والخشية والرهبه والوجل بمعنى الخوف، وليست مرادفة له بل هي مقاربة، والفرق بين الخوف والخشية: أن الخشية: خوف مبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه وقدرته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف. انظر: مدارج السالكين ٥٤٩/١، والقول المفيد لابن عثيمين ١٧٠/٢.



القسم الثاني: أن يخاف الإنسان من غير الله خوفاً يترتب عليه ترك واجب أو فعل محرم، وهذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد، ويدل على ذلك قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ويعم آلوكيل ﴿١٧٣﴾ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم ﴿١٧٤﴾ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه. فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴿آل عمران: ١٧٣-١٧٥﴾.

وذلك أن المشركين لما انصرفوا راجعين إلى مكة يوم أحد، ندب النبي ﷺ الصحابة إلى الخروج في إثرهم ترهيباً لهم، فخرجوا معه حتى بلغوا حمراء الأسد^(١)، فقدم عليهم ركب وأخبروهم أن المشركين قد أجمعوا الرجعة عليهم ليستأصلوهم، فلم يزددهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالا عليه، حيث قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فبلغ المشركين أن النبي ﷺ وأصحابه قد خرجوا في إثرهم فخافوا ورجعوا إلى مكة، فأنزل الله هذه الآيات^(٢).

القسم الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من شيء يضر ويؤذي في العادة، كالخوف من عدو أو سبع ونحو ذلك، وهذا النوع جائز ولا يذم صاحبه، ومنه قوله ﷺ عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٣]، وقوله عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ﴾

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، معجم البلدان ٢/ ٣٠١.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٣/ ٥٢١، وتفسير البغوي ١/ ٣٧٣، والصحيح المسند من أسباب النزول ص ٦٦.

عَفَلُونَ ﴿ [يوسف: ١٣]، وقوله ﷺ لرسوله ﷺ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلِبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] ^(١).

وقد حثَّ الله ﷻ في القرآن الكريم على خوفه وندب عباده إلى ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ - الأمر الصريح، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ [البقرة: ٤٠].

٢ - جعلُ الخوف منه ﷻ شرطاً في تحقيق الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٣ - الإخبار بأن الخوف من الله تعالى من صفات الملائكة التي يحمدون عليها، كما قال ﷺ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٤ - الإخبار بأنه من صفات الرسل ﷺ، كما قال ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٥ - المدح؛ حيث مدح الله تعالى أوليائه الصالحين الذين يخافونه وحده وأثنى عليهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ أُوَلِّيكَ يُسْرِعُونَ فِي الْغَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَاقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

(١) انظر لما سبق: تيسير العزيز الحميد ص ٣٦١، وفتح المجيد ص ٢٨١، والقول السديد ص ١١٥، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٢٤٤، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص ٥٦.



٦ - بشارة الخائفين بالجنة، كما قال ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

□ الشرك في الخوف:

الخوف المستلزم للعبادة والتعظيم لا ينبغي أن يكون إلا لله فصرفه لغيره شرك أكبر كما تقدم، وهو من أسباب عبادة المشركين للأصنام، ولذلك كانوا يخوفون بها الأنبياء، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: حينما خوفه قومه بالهتهم الفاسدة لما عابها وأنكر عليهم عبادتها: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

فقد بين لهم ﷺ أنه لا يخاف من آلهتهم الباطلة لأنها أصنام جامدة لا تضر ولا تنفع، ثم قال لهم منكرًا عليهم متعجبًا من حالهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، واعجبًا لكم تخوفونني بالهتكم الباطلة العاجزة الجامدة، وأنتم لا تخافون الله الواحد القهار، حيث تشركون به غيره بغير دليل ولا برهان، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾؟! قال الله تعالى حاكمًا وفاصلًا بين الفريقين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، نعم المؤمنون الذين أخلصوا إيمانهم لله فلم يخلطوه بشرك لهم الأمن التام من جميع المخاوف في الدنيا والآخرة، وهم المهتدون الموفقون لكل خير^(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٥٧/٢، وتفسير السعدي ٤٢٥/٢.

المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم

١٢١

ولما دعا النبي ﷺ قومه إلى توحيد الله ونبتذ الشرك، خوفوه بالهتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقد وقع هذا النوع من الشرك عند بعض المسلمين، حيث إنهم يخافون مَنْ يزعمون أنهم أولياء وصالحون من الأحياء والأموات، بل ويخافون الجن والشياطين كما يخافون الله تعالى أو أشد، ويقدمون لهم القربات والندور مخافة أن يمسوهم بسوء.

المطلب الثالث: الرياء:

الرياء^(١) داء خطير، ومزلق كبير، ومدخل من مداخل الشيطان دقيق.

ولقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن الرياء، وذم المرائين بأساليب متنوعة منها:

١ - النهي عنه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى كل من يرجو لقاءه^(٢) - وذلك أعظم

(١) الرياء لغة: أن يري الإنسان غيره خلاف ما هو عليه حقيقةً. بصائر ذوي التمييز ١١٦/٣. وقال الحافظ ابن حجر: «هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها» الفتح ٣٣٦/١١. والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم. انظر: المرجع السابق.

(٢) والمقصود به هنا لقاء الرضاء والنعيم والمتضمن رؤيته سبحانه. انظر: القول المفيد ٢٢٩/٢.

مرجو وخير مطلوب - أن يتزود لذلك بالعمل الصالح وهو الموافق للشرع، المطابق للسنة، وأن يخلص هذا العمل لله وحده، فلا يرأي به أحدًا من الناس.

قال ابن جرير: «وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يقول: ولا يجعل له شريكًا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلاً له شريكًا بعبادته إذا رأى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو يريد به غيره»^(١).

٢ - الإخبار بأنه من صفات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفَفِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

٣ - وعيد المرائين بالويل والعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧].

٤ - الإخبار بزوال عمل المرائي واضمحلاله وبطلانه، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وكما حذر الله تعالى من الرياء وذم المرائين فقد حذر النبي ﷺ أمته من الرياء، وخافه عليهم خوفًا شديدًا^(٢).

(١) تفسير ابن جرير ٢٩٩/٨.

(٢) كما قال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما

الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء». أخرجه أحمد ٣٩/٣٩ ح

□ أقسام الرياء:

القسم الأول: الرياء في أصل العبادة، وهو أن يكون الحامل للعبد على العبادة قصدَ مراعاة الناس، فهذا العمل باطل، وهو شرك أصغر، فإن قلب نيته إلى إرادة الثواب، أو كان الحامل له على العبادة الإخلاص ثم طرأ عليه الرياء في أثنائها، صح ما أخلص فيها، إن لم يبن آخرها على أولها كالصدقة، وبطلت إن كان يبن آخرها على أولها كالصلاة^(١).

القسم الثاني: أن يكون الباعث على العبادة إرادة الثواب والرياء معاً، فهذه العبادة باطلة على الراجح؛ لقوله ﷺ: «قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).

القسم الثالث: أن يكون بعد الفراغ من العبادة، وذلك بأن ينوي العبادة مخلصاً لله فيها، ثم يخبر بها الناس مراعاةً لهم، وطلباً لمدحهم وثنائهم، فهذا العمل محرم؛ لقوله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»^(٣)، ولا تبطل به العبادة؛ لأنه أداها مخلصاً فيها لله تعالى.

= (٢٣٦٣٠). وقال المنذري: إسناده جيد، الترغيب والترهيب ٦٨/١ (ح ٢٣)، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام، انظر: بلوغ المرام ٣٥٥/٤ (ح ٣٩٦).

(١) لكن يستثنى من ذلك ما إذا خطر الرياء على قلب الإنسان فدافعه وتخلص منه فإنه لا شيء عليه، انظر: القول السديد ص ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٨٩/٤ (ح ٢٩٨٥).

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٥/١١ (ح ٦٤٩٩)، ومسلم ٢٢٨٩/٤ (ح ٢٩٨٧).



وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته وثنائهم على ذلك استبشارًا بفضل الله، وسرورًا بتوفيقه لهذه العبادة التي أداها مخلصًا لله فيها، فقد سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه - وفي رواية: ويحبه الناس عليه - قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^{(١)(٢)}.

وللرياء مظاهر عديدة، ومسالك دقيقة، وصور كثيرة، وقل من ينجو منه، لا سيما في هذه الأزمان التي ضعف فيها خوف الله تعالى، وعزت فيها مراقبته، وأشربت القلوب مدح الناس، والتزيين لهم، وطلب ثنائهم وإعجابهم، والحرص على نيل رضاهم وإطرائهم، وقد كان السلف - رحمهم الله تعالى - يخافون خوفًا شديدًا من الوقوع في الرياء، ويحرصون أشد الحرص على إخفاء أعمالهم الصالحة^(٣).
ومما ينبغي التنبيه عليه أنه لا يجوز ترك العمل خوفًا من الرياء، بل هذا هو عين الرياء، كما قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك»^(٤).

المطلب الرابع: التَّبَرُّكُ

التَّبَرُّكُ: مصدر تَبَرَّكَ، وهو طلب حصول البركة، وهي كثرة الخير

(١) أخرجه مسلم ٢٠٣٤/٤ (ح ٢٦٤٢).

(٢) انظر في هذه الأقسام: إحياء علوم الدين ٣/٣٠١، وجامع العلوم والحكم ص ١٨، والقول السديد ص ١٢٨، والقول المفيد ٢/٢٢٧، ومقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ١٠١/٢.

(٣) انظر: شرح حديث: «ما ذئبان جائعان» لابن رجب ص ٦٧.

(٤) حلية الأولياء ٩٥/٨.

المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم

١٢٥

وثبوته^(١)، وقد وردت مادة «برك» وما تصرف منها في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة، والمتأمل للآيات التي ذكرت فيها البركة يجد أن البركة في الأصل من الله ﷻ، فهي تطلب منه وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومعنى تبارك: عَظَمَ وتعالى وكثرت بركته، ولا يوصف به إلا الله تعالى^(٢).

الأمور الموصوفة بالبركة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم وصف بعض الأمور بأنها مباركة، وعلى هذا يشرع التبرُّك بها، ومنها:

- القرآن الكريم، فقد وصفه الله تعالى بأنه مبارك في أكثر من موضع كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فيشرع التبرُّك به قراءةً واستشفاءً وعلماً وعملاً.

- الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -، فهم جميعاً أشخاص مباركون، قال تعالى في إبراهيم ﷺ: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصفات: ١١٣]، وقال في نوح ﷺ: ﴿أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨]، وقال عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، وأفضل الرسل نبينا محمد ﷺ فيشرع التبرُّك به بذاته وأفعاله وآثاره وسنته.

(١) البركة في اللغة: لها معنيان: الثبوت، والنماء والزيادة، والمراد بالبركة الشرعية: كثرة الخير وثبوته، انظر: لسان العرب ٢٦٥/١، والقاموس المحيط ٣/٣٩٩، والمفردات ص ١١٩، والتبرُّك أنواعه وأحكامه ص ٣٩.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية ٧/٧٧.



- المساجد، فهي من الأمكنة المباركة، وأفضلها المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فيشرع التبرك بها، وذلك بالصلاة فيها والعبادة والذكر، قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

قال القرطبي: «جعل الله مباركًا لتضاعف الخير فيه، فالبركة كثرة الخير»^(١).

وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

«والمراد بالبركة هنا: البركة الدنيوية؛ أي: جعلنا حوله البركة لسكانه في معاشهم وأقواتهم وحرثهم وغروهم، وقيل: البركة الدينية لأنه مقر الأنبياء والصالحين ومهبط الملائكة»^(٢).

- ليلة القدر، فهي من الأزمنة المباركة؛ فيشرع التبرك بها بكثرة العبادة والدعاء والذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

قال القرطبي: «وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب»^(٣).

□ أقسام التبرك:

التبرك قسمان: مشروع وممنوع.

القسم الأول: التبرك المشروع، وهو التبرك بما دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الله تعالى قد جعل فيه البركة، سواء كان

(١) تفسير القرطبي ٨٩/٤.

(٢) تفسير القرطبي ٨٤/١٦.

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه ص ١٢٨.

صفة أو شخصًا أو مكانًا أو أزمانًا، وقد تقدم آنفًا ذكر عدد من الأمور التي نصّ القرآن الكريم على أنها مباركة.

القسم الثاني: التبرك الممنوع، وهو ما لم يرد دليل على مشروعيته، فمن ذلك التبرك بذوات الصالحين بتقبيلهم والتسميح بهم، أو بأثارهم، ومنه التبرك ببعض الأمكنة؛ كقبر النبي ﷺ، وقبور الأولياء والصالحين، وبعض الجبال والأشجار، وذلك بالصلاة عندها والتمسح بها، والعكوف فيها، وتقديم القربات لها^(١).

وهذا النوع منه ما هو شرك أكبر، كأن يرجو الإنسان ممن يتبرك به نفعًا على وجه الاستقلال، أو يعبد ملتمسًا منه البركة، وهذا هو شرك قوم نوح الذين عكفوا عند صور صالحهم راجين من ذلك البركة، فال بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله كما تقدم، وهو أيضًا شرك العرب باللات والعزى ومناة، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَالْمُنَوَّةَ الْثَلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

وهذه الثلاثة: اللات، والعزى، ومناة أصنام كانت العرب تعبدتها في الجاهلية، وخصها الله ﷻ بالذكر لأنها أعظم أصنامهم وأكبرها في ذلك الوقت، فصارت الفتنة بها أشد^(٢).

ومما يدل على أن التبرك الممنوع شرك بالله تعالى أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط^(٣)،

(١) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣١٥ وما بعدها، والتبرك المشروع والممنوع ص ٥١ وما بعدها.

(٢) انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٩٠.

(٣) اسم لشجرة بعينها كان المشركون ينوطون بها سلاحهم؛ أي: يعلقونه.

يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»^(١)، فقد أنكر النبي ﷺ في هذا الحديث على الصحابة الذين طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، وشبهه فعلهم بفعل قوم موسى ﷺ الذين قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وهذا يدل على أن التبرك نوع من العبادة.

وقد يكون التبرك شركاً أصغر؛ وهو أن لا يرجو المتبرك النفع استقلالاً من المتبرك به، ولا يعبد به، ولكن يرجو الخير وكثرة الأجر بمجاورته والتمسح به، والتعبد عنده؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر^(٢).

ولقد انتشر هذا النوع من الشرك عند بعض المسلمين، ففتنوا بالتبرك ببعض الأحجار والأشجار والآثار والقبور، والصلاة والدعاء عندها، والتمسح بها، وإحياء المناسبات والبدع حولها.



= انظر: النهاية ١٢٨/٥.

(١) أخرجه أحمد ٢٢٥/٣٦ (ح ٢١٨٩٧)، والترمذي ٤١٣/٤ (ح ٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح.

(٢) انظر: الشرك الأصغر ص ٢٣٤ - ٢٣٥.





المبحث الثاني

مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم



المطلب الأول: الشرك في الطاعة:

إن من مظاهر الشرك وصوره المنتشرة الشرك في الطاعة والحكم والاتباع، ذلك أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق، فينبغي أن يكون متفردًا بالأمر والنهي والحكم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَمَرَ كُلُّهُ لِي اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

والطاعة نوع من أنواع العبادة، فيجب أن تكون مختصةً بالله تعالى، والمقصود بالطاعة هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن صرف شيئاً منها لأحد من الخلق غير الرسول ﷺ فهو مشرك^(١)، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٩.



ورهبانهم - وهم العلماء والعُبَّاد^(١) - أربابًا من دون الله، وحكم عليهم بالشرك، مع أنهم لم يتقربوا إليهم بصوم ولا صلاة...، وإنما أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»، وفي رواية قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟»، قال: قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»^(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ قال: «لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»^(٣).

فهذه الآية دليل على أن طاعة غير الله في التحليل والتحريم والحكم والاحتكام شرك في الربوبية، لقوله: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾؛ لأن الطاعة بهذا الاعتبار من حقوق الربوبية.

كما أن في الآية دليلًا أن الطاعة شرك في الألوهية لقوله: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٣٥٣/٦ - ٣٥٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٩/٥ (ح ٣٠٩٥)، وابن جرير ٣٥٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٦/١٠، وحسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ص ٨٤، والألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٦/٣ (ح ٣٣٠٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٥٤/٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١١٦/١٠.

ومن الآيات الدالة على أن طاعة غير الله في التحليل والتحرير، والحكم والتشريع شرك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ففي هذه الآية يقرر الله تعالى أن طاعة الشياطين في تحليل ما حرمه، والاستجابة لوساوسهم المناقضة لشرعه شرك بالله تعالى.

ومن الآيات الواردة في هذه الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

ففي هذه الآية ينكر الله تعالى على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله من الشرائع الباطلة، ويحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، ويصفهم بالشرك، ويتوعددهم بالعذاب الأليم يوم القيامة^(١).

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن هذا اللون من الشرك، وأوجب إفراد الله تعالى بالحكم والطاعة، وذم المخالفين لأمره المتبعين غير شرعه، والمحكمين والمتحاكمين إلى غير وحيه، ووصفهم بالصفات القبيحة، وتوعددهم بالذلة والشقاء في الدنيا، والعذاب الأليم يوم القيامة، ذكر ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ - جعل التحاكم إلى شرع الله شرطاً في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/١٢٤، وتفسير السعدي ٦/٦٠٩.



خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [النساء: ٥٩].

يقول ابن كثير عند هذه الآية: «فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر»^(١).

٢ - الإخبار بأن التحاكم إلى غير الله من صفات المنافقين، كما قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعِوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٠ - ٦٢].

يقول محمد رشيد رضا: «والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام»^(٢).

٣ - وصف الذين يحكمون بغير شرع الله بالكفر والظلم والفسق، وفي هذا تشنيع عليهم، وترهيب لهم، وتنفير من فعلهم - ويأتي الكلام على حكم من حكم بغير شرع الله - وأما الآيات التي وردت تسميتهم فيها بالكفر والظلم والفسق فهي: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى:

(١) تفسير ابن كثير ٥٣١/١، وانظر: إعلام الموقعين ٤٩/١ - ٥٠.

(٢) تفسير المنار ٢٢٧/٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٣٩/١٢، إعلام الموقعين

المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم

١٣٣

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]،
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾
[المائدة: ٤٧] (١).

٤ - الاستفهام الإنكاري، كما قال ﷺ: ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فالاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، والمعنى: كيف يعرضون عن حكم الله، ويطلبون حكم الجاهلية الفاسدة، مع أنه لا أحد أحسن حكماً من الله تعالى عند أهل اليقين والهدى (٢).

□ أقسام شرك الطاعة:

يمكن تقسيم شرك الطاعة إلى قسمين أساسيين، وإن كان كل واحد منهما فرعاً عن الآخر.

القسم الأول: طاعة غير الله في التحريم والتحليل، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة، وقد تقدمت الأدلة على ذلك، ومنها آية التوبة: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد فسرها النبي ﷺ بأنها الطاعة في التحريم والتحليل كما في حديث عدي بن حاتم المتقدم (٣).

لكن إن أطاع الإنسان مخلوقاً في تحريم حلال أو تحليل حرام مع اعتقاده تحريم ذلك، وأنه لا يجوز له أن يتعدى حدود الله، وأن

(١) انظر: أقوال العلماء في تفسير هذه الآيات في الحكم والتحاكم في خطاب

الوحي ٢٥٣/١.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٧١/٢.

(٣) انظر: ص ١٣٠.



هذا المخلوق ليس له حق في التحريم والتحليل، وإنما أطاعه لشهوة في نفسه معترفاً أنه عاص لله في هذه الطاعة، فليس هذا من الشرك^(١).

القسم الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا له أنواع منها ما يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن ملة الإسلام مثل أن يعتقد الحاكم بغير ما أنزل الله عدم وجوب حكم الله، أو أن حكمه أفضل من حكم الله تعالى، ومنها ما يكون كفرًا أصغر لا يخرج عن الملة مثل أن يحكم بقضية معينة بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده وجوب الحكم بما أنزل الله، وأن حكمه في هذه القضية خطأ^(٢).

والشرك في الطاعة له مظاهر كثيرة وصور مختلفة، قديمًا وحديثًا، فمنها: طاعة أهل البدع والضلال فيما أحدثوه، وشرّعه من الأمور المخالفة للكتاب والسنة.

ومن مظاهر الشرك في الطاعة: الحكم بغير ما أنزل الله كما تقدم، وقد انتشر هذا المظهر الخطير عند كثير من المسلمين، لا سيما في هذا الزمان، حيث نبذوا شرع الله، وحكّموا أهواءهم الفاسدة، والقوانين الوضعية الباطلة.

المطلب الثاني: السحر

ومن أنواع الشرك العملية السحر^(٣)، لقوله ﷺ: «من عقد عُقْدَةً

(١) مجموع الفتاوى ٧/٧٠، وانظر: القول المفيد ٢/٢٦٤.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٦ - ٢٤، وكتاب نواقض الإسلام القولية والعملية ص ٣١١ وما بعدها، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله القرني ص ١٧٤.

(٣) السحر لغة: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق، وأصل السحر صرف

المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم

١٣٥

ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكل عليه^(١)، ووجه كونه شركاً: أنه لا يَتَأْتَى في الغالب إلا بالشرك^(٢). قال النووي: «عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع... قد يكون كَفَرًا، وقد لا يكون كَفَرًا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كَفَرَّ وإلا فلا، وإذا لم يكن ما يقتضي الكفر عَزَّرَ»^(٣).

وقد ذكر الله تعالى السحر في القرآن الكريم، فذمّه وحذر منه، وتوعد أهله، أوضح ذلك بأساليب متنوعة، منها:

١ - الإخبار بأن الساحر كافر، كما قال ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا

= الشيء عن حقيقته إلى غيره، ويطلق أيضًا على الخديعة، وحسن البيان. انظر: لسان العرب ٤/١٩٥١، ومختار الصحاح ص ١٢٠.

وشرعًا: عرفه ابن قدامة في المغني بقوله: «هو عُقْد ورُقَى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له» المغني ١٢/٢٩٩، وانظر: أضواء البيان ٤/٤٨٢.

(١) أخرجه النسائي ٧/١١٢ (ح ٤٠٤٩)، والطبراني في الأوسط ٢/١٣٧ (ح ١٤٩٢)، واحتج به ابن كثير في تفسيره ١/١٤٩، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٣٧٨.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ١٨١، والقول السديد ص ٩٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٧٦، وانظر: الإفصاح ٢/٢٢٦، والمغني ١٢/٣٠٠، وتفسير القرطبي ٢/٣٣، وأحكام القرآن للجصاص ١/٦١، وأضواء البيان ٤/٤٩٤.



يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢، ١٠٣﴾.

فقد دلَّت هاتان الآيتان على كفر الساحر من وجوه:

[أ] قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ فيه تبرئة من الله ﷻ لنبية سليمان ﷺ من الكفر، مع أنه لم يتقدم في الآيات السابقة أن أحداً نسبته إلى الكفر، وإنما الوارد اتهامه بالسحر كما في بعض الآثار، فدل ذلك على أن الساحر كفر^(١).

[ب] في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أثبت سبحانه كفر الشياطين بسبب تعليمهم السحر^(٢).

[ج] بين ﷺ في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أن تعلم السحر كفر^(٣).

[د] حكم تعالى على من أحب السحر وآثره على وحيه واستبدله به بأنه ليس له في الآخرة من نصيب^(٤).

[هـ] في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ دليل على أنهم

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٤٩٣/١، وتفسير ابن عطية ٤٠٦/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٣١/٢، ومعارض القبول ٣٣٣/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٣١/٢، ومعارض القبول ٣٣٣/١.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ٥١٠/١، وتفسير ابن كثير ١٤٨/١.

بتعلمهم السحر كفروا؛ لأنه تعالى نفى عنهم الإيمان^(١).

٢ - ومن أساليب القرآن الكريم في التحذير من السحر: نَفْيُ الْفَلَاحِ عَنِ السَّاحِرِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

٣ - الأمر بالاستعاذة من السحر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [الفلق].

والشاهد من هذه السورة قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، فإن المراد بها الاستعاذة من شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يسحرن بها^(٢).

٤ - وصف السحر بالفساد والبطلان، كما قال ﷺ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]؛ أي: إن هذا الذي جئت به أيها السحرة هو السحر بعينه، ولكن الله تعالى سيمحقه ويذهبه؛ لأنه فساد في الأرض، والله تعالى لا يحب الفساد ولا يبقيه، بل يسحقه ويفنيه^(٣).

✍ أنواع السحر، وآثاره، وعلاجه:

السحر له أنواع متعددة، وصور متنوعة، قديمًا وحديثًا، وليس هذا مقام تفصيلها^(٤)، كما أن له آثارًا كثيرة، فمنه ما يُقْتَلُ، ومنه ما

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٤٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ١٢/٧٥٠، وتفسير ابن كثير ٤/٦١٤، وفتح القدير ٥/٧٥٩.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٦/٥٩٠، وفتح القدير ٢/٦٥١، والتفسير المنير ١٢/٢٤١.

(٤) انظر: تفسير الرازي ٤/١٨٧، وعالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص =



يَمْرُضُ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يأخذ بالعقول،
ومنه ما يأخذ بالأبصار^(١).

وأما علاجه المشروع فيكون باستخراجه وإبطاله، وبالرقية الشرعية،
وذلك بالقراءة على المسحور بما ورد من الآيات القرآنية، والأذكار
والأدعية النبوية^(٢).

وقد انتشر السحر في كثير من بلاد المسلمين - مع الأسف الشديد -
بسبب ضعف الإيمان في قلوب الناس، وبعدهم عن كتاب ربهم وسُنَّة
نبيهم ﷺ، وأخذ كثير ممن أصيبوا بالسحر يترددون على السحرة
والدجاجلة والمشعوذين، ينشدون عندهم الشفاء ويسألونهم كشف
ما حل بهم من البلوى.



= ١٠٢ وما بعدها.

(١) انظر: معارج القبول ١/٣٢٧.

(٢) انظر: زاد المعاد ٤/١٢٤.





المبحث الثالث

مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم



المطلب الأول: شرك الدعاء:

الدعاء^(١) له منزلة كبيرة، ومكانة عظيمة في دين الإسلام؛ فهو من أعظم أنواع العبادة، بل هو العبادة كلها^(٢)، وهو الدين^(٣)،

(١) الدعاء لغة: السؤال والطلب، ويطلق أيضًا على العبادة، والنداء، والاستغاثة، وغيرها، انظر: لسان العرب ٣/١٣٨٥، وبصائر ذوي التمييز ٢/٦٠٠، والمفردات ٣١٥، وشرعًا: عرّفه الخطابي بقوله: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية به، واستمداده إياه المعونة» شأن الدعاء ص ٤.

(٢) كما في قوله ﷻ: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أخرجه أحمد ٣٠/٢٩٧ (ح ١٨٣٥)، وأبو داود ٢/١٦١ (ح ١٤٧٩)، والترمذي ٥/٤٢٦ (ح ٣٣٧٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه ٢/١٢٥٨ (ح ٣٨٢٨).

(٣) كما سماه الله تعالى في القرآن في غير ما آية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَدَانَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ أي: مخلصين له الدعاء. انظر: زاد المسير ٦/١٣٩.



ولذلك اعتنى القرآن الكريم بشأن الدعاء عناية كبيرة، وأولاه أهمية فريدة، حتى إنه افتُتح بالدعاء واختتم به، حيث أُفتتح بسورة الفاتحة واختتم بسورة الناس المشتملتين على الدعاء^(١).

ولما كان الدعاء في دين الإسلام بهذه المنزلة كان صرفه لغير الله من أعظم أنواع الشرك وأخطرها وأشدّها قبحاً، ولا غرور في ذلك فهو أصل شرك العالم^(٢)، وهو أكثر أنواع الشرك شيوعاً وانتشاراً بين الناس في كل زمان ومكان.

وقد وردت آيات عديدة تدلُّ على أن دعاء غير الله شرك، ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين المعاندين أخبروني عن حالكم حينما ينزل بكم عذاب الله الذي حل بالأمم السابقة، أو تأتيكم القيامة بأهوالها وخزيها ونكالتها في هذه الحالة هل تدعون أصنامكم الباطلة أم تدعون الله والواحد القهار؟ لا شك أنكم في مثل هذه الأحوال العصبية ستخلصون الدعاء لله تعالى وتنسون ما كنتم تدعونه في وقت الرخاء من الأنداد والشركاء، فما الذي يحملكم على الشرك في وقت الرخاء إذا كنتم تعلمون أن من تشركون به لا يملك لكم نفعاً وقت الحاجة إليه، هل عندكم برهان على ذلك أم هو الكفر والضلال^(٣)؟

(١) انظر: الفتاوى ٤٧٨/١٦.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣٧٥/١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٣٧/٢، والسعدي ٣٩٨/٢، والتفسير المنير ١٩٩/٧.

ومن الآيات الواردة في هذا الباب أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

وهاتان الآيتان بمعنى الآيتين السابقتين، حيث يذكر الله تعالى فيهما حال المشركين وأنهم في حال الشدة يخلصون الدعاء لله، وفي حال الرخاء والأمن والسلامة يعودون إلى ما كانوا عليه من الشرك وذلك بدعائهم غير الله.

ومما يدل على أن صرف الدعاء لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِّسَ الضُّرُّ عَنْكُمُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤].

ففي هاتين الآيتين تقرير لما سبق بيانه في الآيات المتقدمة حيث يخبر الله تعالى فيهما أنه هو المتفضل بالنعمة جميعها ظاهرها وباطنها، وأن أهل الشرك حينما ينزل بهم الكرب ويشتد عليهم الأمر، ويحل بهم البلاء يبادرون إلى الالتجاء إلى الله وحده، ويفردونه بالدعاء والتضرع والرغبة لعلمهم أنه لا يقدر على كشف الضر عنهم غيره سبحانه، فإذا أنجاهم من الشدة وكشف ما بهم من الضر عادوا إلى الشرك فدعوا غيره، والتجؤوا إلى من سواه^(١).

□ أقسام الدعاء في القرآن الكريم:

ينقسم الدعاء - باعتبار معناه^(٢) - في القرآن الكريم إلى قسمين:

(١) تفسير الرازي ٤٢/٢٠، وابن كثير ٥٩٣/٢، والسعدي ٤١٠/٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/١٥، وبدائع الفوائد ٣/٣.



الأول: دعاء المسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه^(١)، وتقدم بيان ما قاله العلماء في معناه وحقيقته في أول هذا المبحث.

الثاني: دعاء العبادة: وهو امتثال أمر الله ﷻ واجتناب نهيهِ، والتعبد له بأنواع العبادات، ووجه كون هذا دعاءً؛ أن العابد إنما يريد بعبادته الفوز بمرضاة الله وجزائه، والنجاة من عقوبته وناره، فهو في الحقيقة سائل وإن لم يأت بلفظ السؤال^(٢).

ونوعا الدعاء متلازمان؛ يدل أحدهما على الآخر، فإذا أريد المسألة والطلب دل على العبادة بطريق التضمن^(٣)؛ لأن الدعاء نفسه عبادة لما يشتمل عليه من الرغبة والتضرع والذل لله.

وإذا أريد به دعاء العبادة فإنه يدل على دعاء المسألة بطريق الالتزام^(٤)؛ لأن العابد لله ﷻ هو في الحقيقة سائل وإن لم يأت بلفظ السؤال فهو يسأل الله الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ لأنه إنما يعبد الله خوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه^(٥).

(١) وينقسم إلى تقسيمات أخرى باعتبارات أخرى، انظر: الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية ١٠٥/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣٧/١٠، وبدائع الفوائد ٣/٣، والشرك الأكبر ٢٦٢/١.

(٣) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٧.

(٤) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على أمر خارج عما وضع له، انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٥ - ١١، بدائع الفوائد ٤/٣، الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية ١١٥/١.



المبحث الثالث: مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم

١٤٣

وقد ورد إطلاق الدعاء في القرآن على ثلاثة أوجه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، وعلى مجموعهما^(١).

فمن الآيات الواردة في إطلاقه على دعاء المسألة ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا بَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

فالمراد بالدعاء في هذه الآيتين وأمثالهما دعاء المسألة، كما هو ظاهر من حال الداعي.

ومن الآيات الواردة في إطلاقه على دعاء العبادة:

١ - قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَعَزَّلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

فالمراد بالدعاء في اللفظة الأولى دعاء العبادة، ومما يؤكد ذلك، التعبير عنه بلفظ العبادة في نفس السياق.

ومن الآيات الواردة في إطلاقه على مجموع الأمرين:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٠، انظر: بدائع الفوائد ٣/٣.



فقد فُسِّرَتْ هذه الآية بنوعي الدعاء؛ دعاء العبادة، ودعاء المسألة^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]^(٢).

ولقد نهى القرآن الكريم عن دعاء غير الله وحذر منه، وذم أصحابه وتوعدهم، أوضح ذلك بأساليب متنوعة منها:

١ - النهي الصريح، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وفي توجيه النهي للنبي ﷺ مع أنه أكمل الخلق إيماناً وأبعدهم من الوقوع فيه، بل هو المعصوم منه، تنبيه على قبح الشرك وشناعته وعظم جرمه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي فتعم كل أحد كائناً من كان.

٢ - بيان عجز المدعوين من دون الله عن إجابة من دعاهم، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال ﷺ: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

ففي هاتين الآيتين يبيِّن الله تعالى حال المدعوين من دونه،

(١) انظر: تفسير الطبري ١٦٤/٢ - ١٦٧، وتفسير القرطبي ٢٠١/٢.

(٢) تفسير البغوي ١٠٣/٤.



وأنهم لا يستطيعون نفع من دعاهم، ولا كشف الضر عنه أو دفعه، وما دام أنهم بهذه الحال فماذا يرجى من دعائهم والاستغاثة بهم؟.

٣ - الاستفهام الإنكاري، كما قال ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [٥] وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الأحقاف: ٥، ٦].
وفيها وصفٌ دعاء غير الله تعالى بأنه غاية في الضلال والبعد عن الهدى.

٤ - وصفٌ من دعا غير الله بالظلم، كما قال ﷺ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، فدعاء غير الله ظلم للنفس عظيم (١).

٥ - تَوَعْد من دعا غير الله بالعذاب يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].
وقال ﷺ: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ففي هاتين الآيتين وعيد شديد لمن «دعا مع الله آلهة غيره بلا بينة من أمره، ولا برهان على ذلك، يدل على ما ذهب إليه، وهذا فيه تلازم، فكل من دعا غير الله فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلمًا وعنادًا» (٢).

والمراد بالدعاء الشركي الذي يحكم على صاحبه بالكفر والخروج عن ملة الإسلام هو: دعاء الميت، أو الغائب، أو الحاضر فيما لا يقدر

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٦/٦١٨.

(٢) تفسير السعدي ٥/٣٨٦.



عليه إلا الله، من مغفرة الذنوب وتفريج الكرب، وجلب النعم، ودفع النقم، ونحو ذلك من الأمور التي ليست في مقدرو البشر، فهذا كفر بإجماع المسلمين^(١).

ومما يؤسف له جدًا انتشار هذا النوع من الشرك بين المسلمين انتشارًا كبيرًا، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة، فمنهم من يدعو النبي ﷺ ويسأله، ومنهم من يدعو آل البيت، ومنهم من يدعو الأولياء والصالحين، ومنهم من يدعو الأموات والغائبين، حتى رفعوهم إلى مقام الألوهية ونسبوا إليهم بعض خصائص الربوبية^(٢).

المطلب الثاني: نسبة النعم إلى غير الله:

إن من رحمة الله تعالى بعباده تَفَضُّلُهُ عليهم بالنعم الكثيرة الظاهرة والباطنة، حيث أنزل عليهم الخيرات، وأخرج لهم من كل الثمرات، وجعل لهم مما خلق ما يسترهم ويؤويهم من بيوت وملبوسات، وسخر لهم جميع ما في الأرض والسموات، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

ولذلك يجب على الإنسان أن يضيف ما يأتيه من النعم إلى مسديها،

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١/١٢٤، ١/٣٥٠، وتيسير العزيز الحميد ص ١٦٠ وما بعدها، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٤٨٣ وما بعدها، والشرك الأكبر ص ٢٦٨.

(٢) انظر: الرد على البكري ص ٣٠٢ - ٣٤٩، والدر النضيد ص ٢٨، وتفسير الألوسي ١١/٩٨، وتفسير المنار ٥/٤٢١، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٥١٧ وما بعدها.

وموليها، والمتفضل بها، ومعطيها، وهو الله وحده، ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، فإن ذلك من تمام شكرها.

ومن أنواع الشرك الخفية^(١) التي يقع فيها كثير من الناس إضافة النعم إلى غير الله تعالى ولذلك ورد النهي عن نسبة النعم إلى غير الله تعالى في القرآن الكريم بأساليب متعددة منها:

١ - ذمّ المشركين الذين ينسبون نعم الله ﷻ عليهم إلى غيره، كما قال ﷻ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال القرطبي عند هذه الآية: «وقيل معناها: أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا؛ فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب»^(٢).

وكما ذمّ الله تعالى من ينسب نعمة الله عليه إلى غيره من الخلق فقد ذمّ من ينسبها إلى نفسه، وتوعده بالانتقام وزوال النعم عنه في الدنيا، والعذاب يوم القيامة، مبيّناً سبحانه أن هذا هو مصير من قال بهذه المقولة الفاسدة، وافترى هذه الفرية الباطلة، من طغاة الأمم السابقة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَتُولَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر: ٤٩ - ٥١].

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٤٣٨. (٢) تفسير القرطبي ١٧٩/٩.



ففي هذه الآيات يخبر الله ﷻ عن حال الإنسان في الضراء والسراء؛ فهو حين يصاب بمضرة من فقر أو مرض، أو شدة يلجأ إلى الله ﷻ وحده ويدعوه.

وحين ينعم الله ﷻ عليه ويعطيه من فضله يبغي ويجحد نعمة الله، ويدعي أنه إنما أوتيتها لعلم الله تعالى بأنه مستحق لها وأهل، ثم بين سبحانه أن ذلك إنما هو ابتلاء واختبار يختبر الله به عباده ليعلم الشاكر من الكافر، ولكن كثيرًا من الناس يجهلون هذه الحكمة العظيمة، حيث يزعمون أن ما يصيبهم من النعم إنما هو لفضلهم ومنزلتهم عند الله.

ثم يبين ﷻ أن هذه المقولة الفاسدة قد نطقت بها أمم ماضية فأهلكهم الله تعالى، ولم تنفعهم أموالهم وما كسبوه في هذه الدنيا، ولم ينجهم من عذاب الله.

ثم يتوعد ﷻ من يسلك طريقهم، ويعمل بعملهم من هذه الأمة مبيِّنًا أن مصيره سيكون مثل مصير تلك الأمم، فإن الله ﷻ لا يعجزه شيء (١).

٢ - النهي عن نسبة النعم إلى غير الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند هذه الآية: «الأنداد» (٢): هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاة (٣) سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول:

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٦٢/٤، وتفسير السعدي ٤٨٢/٦.

(٢) الأنداد: جمع ند، وهو المثل والنظير، انظر: مختار الصحاح ص ٢٧٢.

(٣) الصفاة: الصخرة الملساء، مختار الصحاح ص ١٥٣.

والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوصُ
البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص...»^(١).

ففي هذا الأثر عدَّ رضي الله عنه نسبة التعم إلى غير الله شركاً؛ فإن قول
الرجل: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ونحو ذلك، من إضافة النعم
إلى غير الله؛ لأنه ﷻ هو الحافظ، من جميع الآفات، وأما قول
الإنسان: لولا الله ثم فلان فهو جائز^(٢).

٣ - القصص القرآني، ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ عن قارون حينما
طغى وبغى واغتر بكنوزه وأمواله وجنوده، ولم يسمع لنصح قومه،
وينتفع بموعظتهم، بل ادعى كاذباً أن هذه الأموال والكنوز التي بيده
إنما حصل عليها بعلمه وذكائه وخبرته ومعرفته بوجوه المكاسب^(٣)،
فكانت عاقبته وماله أن خسف الله به وبداره الأرض، فكان في
أسفل سافلين، فما منع نفسه وانتصر لها، وما كان له من دون الله
من قوة ولا ناصر، كما حكى الله تعالى قصته في سورة القصص
بقوله: ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ
مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ
الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦٢/١، وإسناده جيد، تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٢.

(٢) انظر: فتح المجيد ص ٣٤٩.

(٣) وقيل: المراد بقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ على فضل علم عندي علمه الله
في فرضي بذلك عني، وفضلني. انظر: تفسير ابن جرير ١٠٧/١٠، وزاد
المسير ١١٣/٦.

قَبْلَهُ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١].

أقسام نسبة النعم إلى غير الله:

نسبة النعم إلى غير الله تعالى لها ثلاثة أقسام:

الأول: أن يضيفها إلى السبب نفسه، مع عدم الاعتقاد بأنها من الله ﷻ، فهذا شرك أكبر.

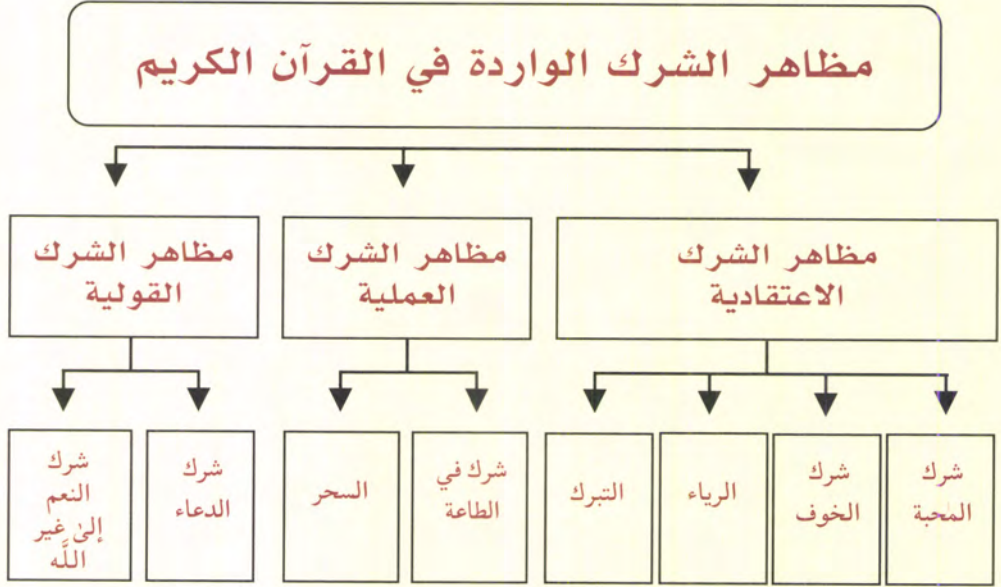
الثاني: أن يضيفها إلى سبب صحيح ظاهر، مع اعتقاده بأنها من الله، فهذا شرك أصغر.

الثالث: أن يضيفها إلى سبب صحيح ثابت ظاهر على وجه الإخبار، مع اطمئنان قلبه بأن المنعم الحقيقي هو الله تعالى، واستحضاره لذلك، فهذا جائز (١).

ونسبة النعم إلى غير الله لها صور متعددة تجري على السنة كثير من الناس، يتلفظون بها متساهلين بشأنها غير مدركين لخطورتها، وقد سبق ذكر بعض الأمثلة في ثنايا بعض الآثار الواردة في تفسير الآيات، ومن ذلك قول بعضهم: لو لم أبادر إلى الطبيب لاشتد بي المرض، ولولا مهارة قائد الطائرة أو السيارة أو السفينة لهلك الركاب،

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب ص ٨٥، ورسالة الشرك الأصغر ص ١٨٦، والقول المفيد ٣١٣/٢.

ولولا اشتغالي بتلك التجارة ما اغتنيت، ونحو ذلك من الألفاظ.





الفصل الثالث

آثار الشرك في ضوء القرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشرك أعظم الذنب، وأظلم الظلم.

المبحث الثاني: الشرك يهدر الدم والمال.

المبحث الثالث: الشرك محبط لجميع الأعمال.

المبحث الرابع: تحريم الجنة على المشرك، وخلوده في النار.







المبحث الأول

الشرك أعظم الذنب، وأظلم الظلم



إن أعظم الذنوب عند الله ﷻ، وأظلم الظلم^(١)، وأنكر المنكرات، وأكبر الكبائر الشرك بالله ﷻ؛ ذلك أنه هضم لحق الربوبية، واعتداء في حق الألوهية، وسوء ظن بالله ﷻ وجود لنعمه، وإنكار لحقوقه، حيث يُسَوَّى المخلوق الضعيف العاجز الفقير، بالإله القدير الغني الحميد.

وقد وصف الله تعالى الشرك في القرآن الكريم بأنه ظلم عظيم، وأخبر بأنه سوء ظن به سبحانه، وحينما سئل النبي ﷺ عن أعظم الذنب أخبر بأنه الشرك^(٢).

ومن الآيات التي وصف الله تعالى فيها الشرك بأنه ظلم عظيم قوله تعالى حكايةً عن لقمان الحكيم^(٣) في أول وصية من وصاياه

(١) قال الراغب الأصفهاني: «الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما ينقصان أو بزيادة، أو بعدول عن وقته أو مكانه» المفردات ص ٥٣٧.

(٢) كما في حديث ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». صحيح البخاري ٤٣٣/١٠ (ح ٦٠٠١)، وصحيح مسلم ٩١/١ (ح ١٤٢).

(٣) وقد اختلف المفسرون في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير



الوعظية لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فإن الله تعالى لما ذكر منته على عبده لقمان بالحكمة أخبر عن وصاياه الحكيمة لابنه، والتي ابتدأها بالنهي عن الشرك مبيناً ومعللاً هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم، وإنها والله لو صية عظيمة، وموعظة غير متهمة تصدر من أب شفيق، ناصح، ودود لابنه وفلذة^(١) كبده، وأحب الناس إليه، فما أجدرها بالقبول والامتثال، وما أحراها بالاستماع والإقبال^(٢).

وافتاحه لهذه الموعظة بحرف النداء مع أن توجيه الخطاب إليه مغن عن ندائه لحضوره، تنبيه على الاهتمام بالعرض المسوق له الكلام، فإنه يستدعي حضور الذهن.

ومخاطبته لابنه بلفظ التصغير ﴿يَبْنَىٰ﴾ كناية عن الشفقة به، والتحبب إليه، وهو في هذا المقام يفيد الحث على امتثال هذه الوصايا؛ لأنها صادرة من أب شفيق ناصح محب للخير^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

= نبوة؟ والأكثر على الثاني، انظر: تفسير ابن جرير ٢٠١/١٠، ٢٠٨، وتفسير ابن كثير ٤٥٢/٣، والدر المنثور ٦٢٧/١١.

(١) الفلذة: القطعة. انظر: المعجم الوسيط ٧٠٠/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٥٣/٣، وتفسير السعدي ١٥٥/٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٥٣/٢١، ١٥٤.

الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

قال ابن جرير عند آية الأنعام: «الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه، وتصديقهم له بظلم؛ يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً أحق بالأمن من عقابه» (٢).

والشرك بالله تعالى ظلم في حق الله ﷻ وظلم للنفس، وظلم لمن أشرك به من الخلق.

فأما كونه ظملاً في حق الله ﷻ فلأن أعظم حقوق الله ﷻ على عباده هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً فالعبادة بجميع أنواعها حق الله ﷻ وحده، فهو الخالق الرازق المالك المدبّر الغني الحميد، وصرفها لغيره وضع لها في غير محلها اللائق بها فهو ظلم.

وأما كونه ظملاً للنفس فلأنه إذلال لها وإخضاع لمخلوق ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً، وخروج بها عن الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها والتي هي توحيد الله ﷻ والاستسلام له وحده دونما سواه، وظلم للنفس أيضاً لأنه حرمان لها من منافع التوحيد وثمراته العظيمة اليانعة في الدنيا والآخرة.

وأما كونه ظملاً لمن أشرك به من الخلق، فلأنه غلو فيهم، ورفع لهم إلى منزلة لا تليق بهم، وإيذاء لهم في الدنيا، وعذاب لمن رضي بذلك منهم في الآخرة، ولذلك أخبر الله ﷻ أن هذه الآلهة التي اتخذها المشركون في الدنيا يتبرؤون من عابديهم يوم القيامة وينكرون

(١) أخرجه البخاري ٤٦٥/٦ (ح ٣٤٢٩)، ومسلم ١١٤/١ (ح ١٩٧).

(٢) تفسير ابن جرير ٢٥٠/٥.



صنيعهم، وينبذون شركهم، كما قال ﷺ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨] (١).

ومن الآيات التي وصف الله تعالى بها الشرك بأنه ظلم ما حكاه ﷺ عن الفتية من أصحاب الكهف أنهم قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

ففي هذه الآية يخبر الله ﷻ عن الفتية من أصحاب الكهف أنهم عابوا على قومهم اتخاذهم الآلهة التي يعبدونها من دون الله، وأنكروا فعلهم، ويبينوا أنه ليس لهم برهان ولا حجة على ما ذهبوا إليه من الشرك، بل هو الجهل والضلال، ثم ختم الآية بالاستفهام الإنكاري ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٢).

وكما وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم فقد وصف المشركين بأنهم ظالمون، كما قال ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ففي هذه الآية ينهى الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعو غيره من المخلوقات التي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً في الدنيا والآخرة، ثم

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٣٢، ورسالة الشرك وأنواعه لجفري أفندي وهاب ص ٣٥٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٨/١٨٩، وتفسير ابن كثير ٣/٧٩، وتفسير السعدي

يبين له سبحانه أنه إن فعل ذلك^(١) فإنه يكون حينئذٍ من الظالمين لأنفسهم ولغيرهم^(٢).

وكما وصف الله تعالى الشرك بالظلم فقد أخبر بأنه سوء ظن به سبحانه، كما قال تعالى حكايةً عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿أَيْفَاكَ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٧].

قال ابن القيم عند هذه الآية: «أي: فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء؟...»^(٣).



(١) وحاشاه عليه السلام من ذلك فهو المعصوم، ولكن المقصود تنبيه الناس على فظاعة الشرك بحيث أنه لو فعله أفضل الخلق كان من الظالمين، انظر: التحرير والتنوير ٣٠٥/١١.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦١٨/٦، وتفسير السعدي ٣٩٦/٣.

(٣) مدارج السالكين ٣٦٤/٣، وانظر: تفسير ابن جرير ٥٠٠/١٠.





المبحث الثاني الشرك يُهدر الدم والمال



إن الإنسان الذي كرمه الله تعالى وشرّفه، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، لا قيمة له ولا منزلة إلا بالتوحيد والإيمان؛ لأنه إنما خلق لعبادة الله وحده دونما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا لم يقيم بهذه المهمة التي خلق من أجلها فإنه حينئذٍ لا قيمة له ولا قدر ولا فضل، ولذلك أباح الله ﷻ دماء المشركين وأموالهم، وأمر بقتلهم وجهادهم، حتى يؤمنوا بالله وحده، ويدعوا الشرك وعبادة الأوثان^(١)، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وهذه هي آية السيف التي أمر الله تعالى فيها بقتل المشركين

(١) وقد اختلف العلماء في المشركين هل تؤخذ منهم الجزية، أو ليس لهم إلا الإسلام أو السيف، والأرجح والله أعلم أنها تؤخذ منهم إذا بذلوا ويكف عن قتالهم. انظر: زاد المعاد ٣/١٥٣.

المحاربين، وأسراهم، وحصارهم، والتضييق عليهم، ومراقبتهم، وملاحقتهم في كل طريق ومنفذ، وذلك بعد انقضاء أشهر التسيير الأربعة التي حرم الله تعالى فيها قتال المشركين المعاهدين وقت نزول الآية، فإذا تابوا إلى الله تعالى وتركوا الشرك وأقاموا شعائر الإسلام تركوا؛ فإن الله غفور للتائبين رحيم بهم^(١).

ويقول ﷺ: **أمرًا عباده المؤمنين بقتال المشركين حتى لا يبقى الشرك، ولا يعبد إلا الله وحده: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: ١٩٣].

وقال ﷺ: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: ٣٩].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله ﷺ بقتال المشركين المحاربين، ثم يذكر المقصود من هذا القتال بقوله: **﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾**؛ أي: شرك^(٢)، فالحكمة من قتال المشركين هي أن يُزال الشرك من الأرض، **﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾**، وليس المقصودُ سفك دماء المشركين وأخذ أموالهم، ولذلك إذا تاب المشركون عن الشرك وانتهوا عن مقاتلة المسلمين وأخلصوا العبادة لله وحده، فإنه لا يجوز قتلهم ولا قتالهم، ولا تحل دماؤهم ولا أموالهم^(٣).

وقد دلَّت السُّنَّة أيضًا على أن المشرك غير معصوم الدم والمال،

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٣١٩/٦، وتفسير ابن كثير ٣٤٩/٢، وتفسير السعدي ٢٠٠/٣.

(٢) روي ذلك عن جمع من السلف. انظر: تفسير ابن جرير ٢٠٠/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٢٠٠/٢، وتفسير ابن كثير ٢٣٤/١، وتفسير السعدي ٢٣٣/١.

قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم - إلا بحق الإسلام -، وحسابهم على الله»^(١).

والمقصود: المشركون المحاربون، أما من كان له عهد أو ذمة، فهو معصوم الدم والمال ما دام ملتزماً بعهده وذمته، ولا يجوز الاعتداء عليه، كما قال ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]^(٢)، ولا يخفى أن حلّ دماء الكفار المحاربين وأموالهم له شروط وضوابط، وأن الحكم العام بحلّ دم المشرك وماله لا يلزم منه استحلال دم المُعَيَّن، بل قد يوجد لذلك موانع، أو يترتب عليه مفسد، فالحكم في ذلك منوط بأهل العلم الراسخين. وقد حصل بسبب إهمال هذه الضوابط مفسد عظيمة، حيث استبيحت أموال ودماء معصومة، نسأل الله العافية.



(١) أخرجه البخاري ٧٥/١ (ح ٢٥)، ومسلم ٥٣/١ ح (٢٢).

وقوله: «عصموا»؛ أي: منعوا.

وقوله: «وحسابهم على الله»؛ أي: في أمر سرائرهم. فتح الباري ٧٤/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٨/٢.





المبحث الثالث

الشرك محبط لجميع الأعمال



ومن آثار الشرك^(١) الأخروية العظيمة أنه يحبط جميع الأعمال الصالحة ويفسدها، فالمشرك مهما عمل من عمل فإنه لا قيمة لعمله ولا وزن في الدار الآخرة، وإنما يعجل له أجره في الحياة الدنيا، حتى إذا صار إلى الآخرة لم يكن له عمل يجزى به.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على بطلان أعمال المشركين وذهابها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ففي هذه الآية يخبر ﷺ أن الهدى الذي اهتدى به من ذكر من الأنبياء في الآيات التي تقدمتها^(٢) إنما حصل لهم بتوفيقه ولطفه، فهو الذي يوفق من شاء من عباده للتوحيد والإخلاص وترك الشرك والأوثان، ثم يبين ﷺ أنه لو فرض أن هؤلاء الرسل المذكورين - صلوات الله وسلامه عليهم - أشركوا بالله ﷻ لأبطل أعمالهم؛ لأنه

(١) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر فإنه لا يحبط إلا العمل الذي قارنه كما تقدم في التمهيد.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].



لا يقبل من مشرك عملاً، وفي هذا تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه، فإنه إذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار من الرسل لو أشركوا لحبطت أعمالهم فكيف بغيرهم، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع^(١).

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ففي هذه الآية يخبر ﷺ خبراً مؤكداً أنه أوحى إلى نبيه محمد ﷺ وإلى جميع الأنبياء قبله أن الشرك محبط لجميع الأعمال، موجب للهلاك والخسران^(٢)، حتى ولو حصل من رسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «وهذا على سبيل الفرض، والمراد تهيج الرسل، وإقنات الكفرة، وتنبيه الأمة، وأفرد الخطاب باعتبار كل واحد، واللام الأولى موطئة للقسم، والأخيرتان للجواب، وعطف الخسران على إحباط الأعمال من عطف المسبب على السبب»^(٣).

وقد أخبر الله ﷺ أن عمارة المساجد والتي هي من أفضل الأعمال لا تنبغي للمشركين ولا تليق بهم؛ لأن المشرك لا تقبل منه قربة، ولا تنفعه طاعة، بل أعماله كلها باطلة مردودة، وهو مخلد في النار^(٤)، كما قال ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٥٩/٥، وتفسير ابن كثير ١٦٠/٢، وتفسير السعدي ٤٣٠/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٢٣/١١، وتفسير السعدي ٤٩١/٦.

(٣) التفسير المنير ٤٦/٢٤، وانظر: تفسير أبي السعود ٢٦٢/٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ٣٣٤/٦، وتفسير ابن كثير ٣٥٣/٢، وتفسير السعدي ٢٠٩/٣.

وحينما يجمع الله تعالى الأولين والآخرين على صعيد واحد يوم القيامة ليقضي بينهم بحكمه، ويجازيهم بأعمالهم، يؤمّل المشركون في أعمال عملوها في الدنيا ويرجون ثوابها في ذلك اليوم العصيب، ولكنها تذهب وتبطل حينما تعرض على الحكم العدل ﷻ فلا ينالون بها أجرًا، ولا يجدون لها نفعًا، وذلك لأنها لم تصدر من مؤمن موحد، ولم يُبتغ بها وجه الله والدار الآخرة^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقد دلّت السُّنَّة أيضًا على بطلان عمل المشرك وعدم انتفاعه به في الآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).



(١) انظر: تفسير ابن جرير ٣٨٠/٩، والقرطبي ١٦/٣، وابن كثير ٣٢٦/٣، والسعدي ٤٧٢/٥.

(٢) صحيح مسلم ٢٢٨٩/٤ (ح ٢٩٨٥)، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٥٠.





المبحث الرابع

تحريم الجنة على المشرك، وخلوده في النار



ومن آثار الشرك الأخروية العظيمة كذلك الحرمان من دخول الجنة، والخلود الأبدي في نار جهنم^(١).

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على أن المشرك ممنوع من دخول الجنة، محكوم عليه بالنار إن لم يتب من الشرك، ويمت على التوحيد والإسلام، فمنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ففي هذه الآية الكريمة يبين ﷻ حكم المشرك وماله الذي يصير إليه في الآخرة، وهو الحرمان من دخول الجنة والخلود في نار جهنم وبئس القرار، وليس له في ذلك اليوم من أعوان ينقذونه من عذاب الله أو أنصار^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

(١) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر فإنه لا يوجب الخلود في النار، ولا يمنع من دخول الجنة كما تقدم في التمهيد.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٤/٦٥٢، وتفسير ابن كثير ٢/٨٤، وتفسير السعدي



خَلِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ [البينة: ٦].

ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن مآل الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأنهم في نار جهنم ما كثون لا يخرجون منها ولا يزولون عنها، ولا يموتون فيها، فهم شرُّ البرية^(١)، وأشقى البشرية^(٢).

وقال عليه السلام: ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وفي هذه الآية ينهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم وأُمَّته له أسوة، عن الإشراف بالله، متوعداً من فعل ذلك بالعذاب الأليم الدائم^(٣).

ولما لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هداية عمه أبي طالب إلى الإسلام، عزم على الدعاء له مكافأة له على ما قدمه له من رعاية وحماية، فنهاه الله عن ذلك، مبيناً أن الاستغفار للمشركين الذين ماتوا على شركهم أمر لا يليق بالنبي والمؤمنين به، حتى ولو كان هؤلاء المشركون ذوي قربى، وذلك بعدما تبين لهم أنهم من أصحاب النار، وأنها قد وجبت لهم واستحقوها بسبب شركهم، فلا ينفعهم حينئذٍ استغفار المستغفرين ولا شفاعة الشافعين^(٤)، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) البرية: هم من برأه الله؛ أي: خلقه. انظر: القاموس المحيط ٦/١، وتفسير ابن جرير ٦٥٧/١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٦٥٧/١٢، وتفسير ابن كثير ٥٧٥/٤، وتفسير السعدي ٦٥٨/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٨٣/٨، وتفسير ابن كثير ٣٦٢/٣، وتفسير السعدي ٥٥١/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ٤٨٧/٦، وتفسير ابن كثير ٤١٠/٢، وتفسير السعدي ٣٠٥/٣.



تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿ [التوبة: ١١٣].

وقد ورد في نزول هذه الآية أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] (١).

وقد أخبر الله سبحانه أن المشركين ومعبوداتهم من الأوثان والأصنام وقود جهنم الذي توقد به يوم القيامة خالدون فيها مخلدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هُوْلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩] (٢).

والشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه (٣)، فإذا مات المشرك على

(١) صحيح البخاري ٥٠٦/٨ (ح ٤٧٧٢)، وصحيح مسلم ٥٤/١ (ح ٢٤).

(٢) تفسير ابن جرير ٨٨/٩، وتفسير ابن كثير ٢٠٦/٣.

(٣) والمقصود هنا: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فقد اختلف فيه العلماء، فبعضهم قال: إنه لا يغفر إلا بالتوبة منه كالأكبر، وبعضهم قال: إنه واقع تحت المشيئة كسائر المعاصي، وأصحاب القول الأول لا يحكمون =

المبحث الرابع: تحريم الجنة عن المشرك، وخلوده في النار

١٦٩

شركه فإنه ليس أهلاً لمغفرة الله ورحمته التي يتفضل بها سبحانه على عباده الموحدين، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

ففي هاتين الآيتين يبين ﷺ أنه لا يغفر لعبد لقيته مشركاً به أحداً من خلقه، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب صغائرها وكبائرها عند مشيئته، حسبما تقتضيه حكمته ورحمته^(١).

قال ابن جرير: «وقد أَبَانَتْ هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله»^(٢).

وقد جاءت السُّنة مقررة ومؤكدة لهذه الآيات حيث وردت أحاديث كثيرة^(٣) تدل على أن من مات مشركاً فهو من أهل النار، ولا يدخل في أهل الرحمة والغفران، فمن ذلك قوله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»^(٤).

= بخلوده في النار، بل يقولون: إنه يوازن بين حسناته وسيئاته فإن رجحت حسناته دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته عذب في النار بقدر ذنوبه ثم يكون مآله إلى الجنة، كما تقدم في التمهيد.

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٤/١٢٨، وتفسير ابن كثير ١/٥٢٠، وتفسير السعدي ٨٠/٢.

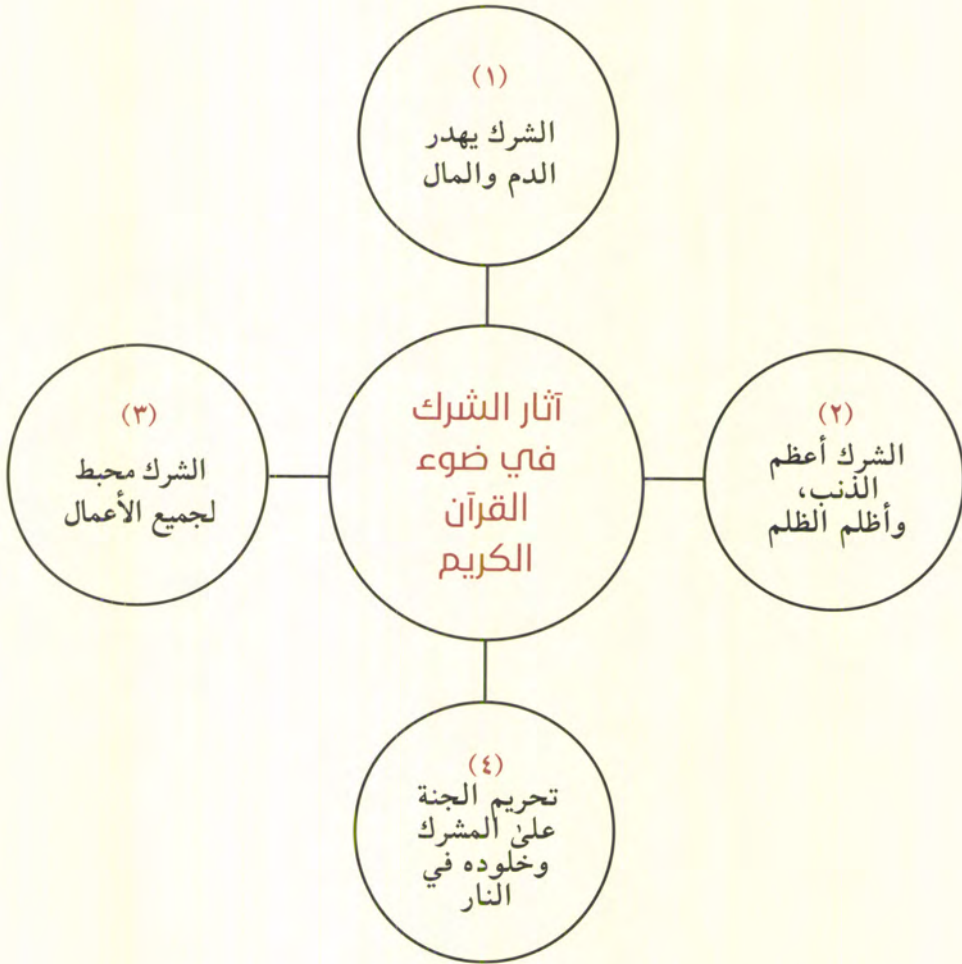
(٢) تفسير ابن جرير ٤/١٢٩، وانظر: فتح القدير للشوكاني ١/٧١٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٥٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨/١٧٦ (ح ٤٤٩٧).



وقوله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار»^(١).



(١) أخرجه مسلم ٩٤/١ (ح ٩٣).

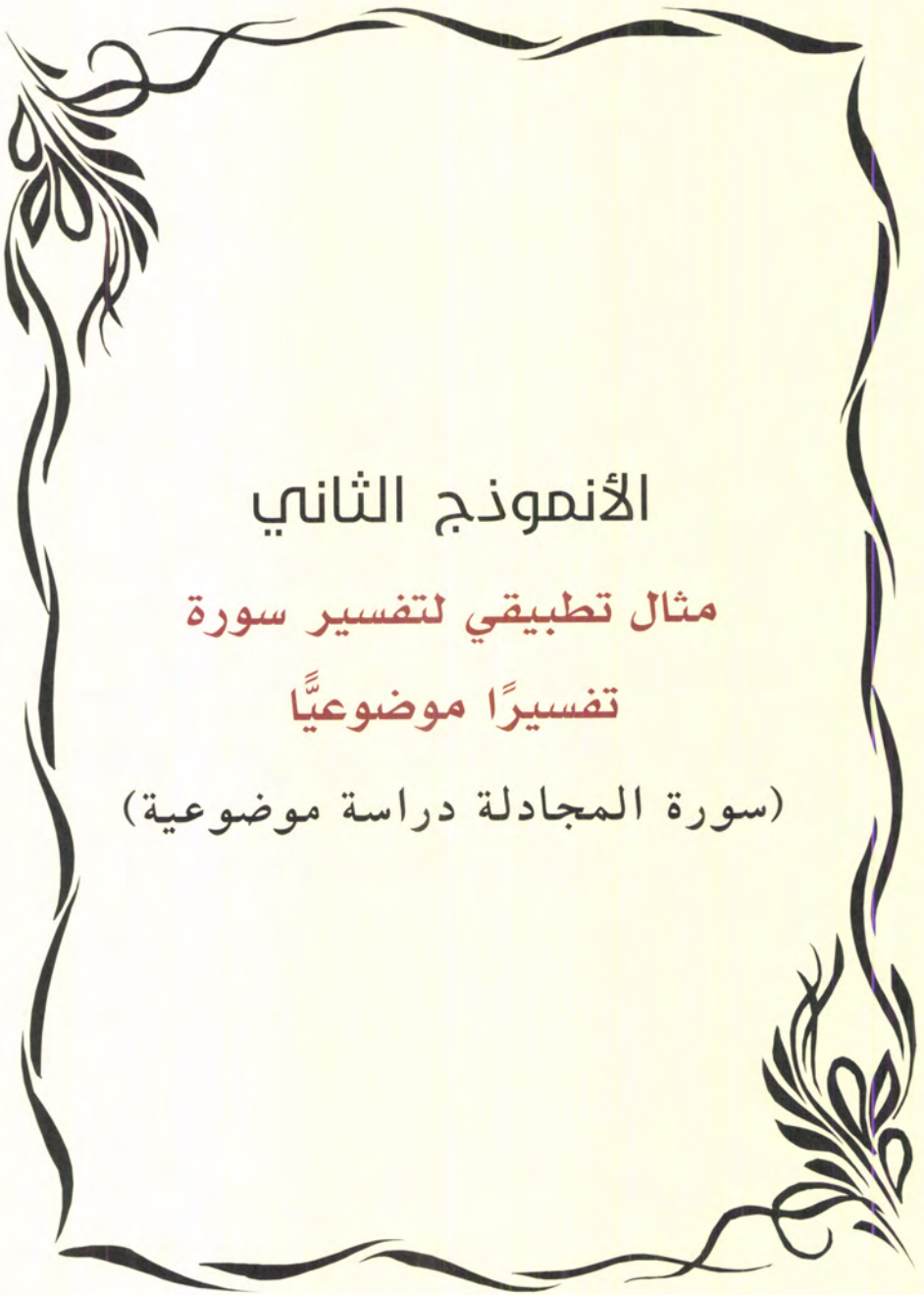


الأنموذج الثاني

مثال تطبيقي لتفسير سورة

تفسيرًا موضوعيًا

(سورة المجادلة دراسة موضوعية)





التعريف بـ«السورة»

أولاً: أسماء السورة:

السورة لها ثلاثة أسماء:

١ - (المُجَادِلَة)، بكسر الدال وفتحها، والأشهرُ الكسر، سُمِّيَتْ بذلك لافتتاحها بذكر قصة المجادلة، وهي خَوْلَة بنت ثعلبة رضي الله عنها، التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاكيةً حينما ظاهر منها زوجها، وبالفتح: المُجَادِلَة، نسبةً للمَصْدَرِ مُجَادَلَة.

وهذا الاسم هو المشهور في المصاحف وكتب التفسير، وقد ورد تسميتها به عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

٢ - (قَدْ سَمِعَ)، وهو اسم اجتهادي، ذكره بعض المفسرين، سُمِّيَتْ به لافتتاحها بها اللفظ.

٣ - (الظَّهَارِ)، وهو اسم اجتهادي، مذكورٌ في كتب التفسير وعلوم القرآن، سُمِّيَتْ به لذكر أحكام الظهار في افتتاحيتها^(١).

ثانياً: عدد آيات السورة:

عدد آيات السورة ثنتان عشرون آية، في العدِّ الكوفي والبصري والشامي، وإحدى وعشرون آية في العدِّ المكي والمدني الثاني،

(١) انظر: الإتيان ٣٦٣/٢، ومساعد النظر ٦٧/٣، والتحرير والتنوير ٥/٢٨، وروح المعاني ١٩٧/١٤، وأسماء سور القرآن وفضائلها ص ٤٢٥.



والخلاف في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، هل هي آية مستقلة معدودة، أم تابعة لما بعدها^(١).

ثالثاً: موضع نزولها:

سورة المجادلة مَدَنِيَّةٌ، وقد نقل بعضهم الإجماع عليه^(٢)، ودليل ذلك الآثار الواردة في سبب نزولها كما يأتي، كما يُعرف ذلك من خلال النظر في موضوعات السورة وأساليبها.

رابعاً: سبب نزولها:

وردت عدة أسباب لنزول آيات السورة، وأولها نزل في شأن شكوى خَوْلَةَ بنت ثعلبة رضي الله عنها، حينما ظاهر منها زوجها، وسيأتي ذكر ما ورد فيها من أسباب نزول عند تفسير الآيات في مواضعها.

خامساً: موضوعات السورة:

عند التأمل في آيات هذه السورة الكريمة نجد أنها تحدثت عن عدة موضوعات، يمكن إجمالها فيما يلي:

- ١ - حكم الظَّهَار وكفارته.
- ٢ - مُحَادَّةُ اللَّهِ ورسوله وجزاء أهلها.
- ٣ - آداب المناجاة في المجلس.
- ٤ - أدب المجالس.
- ٥ - الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ.

(١) انظر: البيان في عد أي القرآن ص ٢٤٢.

(٢) انظر: تفسير الشعبي ٢٥٢/٩، والبغوي ٤٧/٨، وابن عطية ٤٣٤/١٥.

٦ - وعيدُ المنافقين الذين يوالون اليهود.

٧ - جزاء من يحادّ الله ورسوله.

٨ - وعد المؤمنين الذين الصادقين.

قال الفيروزآبادي: «معظم مقصود السّورة: بيان حُكْم الظَّهار، وذكر النجوى والسّرار، والأمر بالتّوسّع في المجالس، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرّحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعضٍ بالفلاح، وعلى بعضٍ بالخسران»^(١).

سادساً: فضائل السورة:

لم يثبت فضلٌ خاص لهذه السورة الكريمة، ولكنها من سور المفصل، وقد ورد في فضله عموماً قوله ﷺ: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزُّبُورِ الْمَثْنَيْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفْصَلِ»^(٢).

سابعاً: محور السورة ومقصدها:

مقصد هذه السورة الكريمة: بيان علم الله ﷻ، ومعيته لِخَلْقِهِ وإحاطته بأعمالهم.

يقول البقاعي: «مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حادّ الله ورسوله لما له سبحانه من تمام

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٥٦/١.

(٢) أخرجه الطيالسي ٣٥١/٢ (ح ١١٠٥)، وأحمد ١٨٨/٢٨ (ح ١٦٩٨١) ط. الرسالة، والطبري ٥٥/١، عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٦٩/٤.

العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وتكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكريراً لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية^(١)، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر، فكثيرة^(٢).

ثامناً: مناسبات السورة:

١ - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

لَمَّا حُتْمَت سِوْرَةُ الْحَدِيدِ بِإِثْبَاتِ عِجْزِ الْخَلْقِ، وَأَنَّ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] كان سماعُ أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغله صوت عن صوت، وكلام عن كلام، ومن ذلك سماعه ﷺ مجادلة تلك المرأة، من هذا الفضل العظيم^(٣).

٢ - مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

- في أول السورة ذكر الله ﷻ سمعه لأوليائه ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وفي خاتمتها ذكر ﷻ رضاه عن أحبابه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) وهو الاسم الكريم (الله) فقد ذكر في كل آية من آياتها، وهذا من خصائص هذه السورة الكريمة.

(٢) مصاعد النظر ٦٨/٣، وانظر: نظم الدرر ٢٣١/١٩.

(٣) انظر: نظم الدرر ٣٣٢/١٩، وتفسير الألوسي ١٤/١٩٧.



الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

- في أول السورة تحذيرٌ من تعدي حدود الله تعالى بالظَّهَارِ وغيره، ﴿وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤]، وفي خاتمتها: أن مَنْ تعدي حدوده ﷻ فهو من حزب الشيطان: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] (٢) .

٣ - المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

لما ذكر ﷻ في مطلع الحديد صفاته الجليلة، ومنها: الظاهر والباطن، وأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ذكر في سورة المجادلة سَمَعَهُ قول المجادلة التي شكت إليه ﷻ .

ثم ورد بعد ذلك قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وهو تفصيل لإجمال قوله ﷻ في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] (٣) .



(١) انظر: مراصد المطالع ص ٧٠.

(٢) انظر: نظم الدرر ٤٠١/١٩.

(٣) انظر: تناسق الدرر ص ١٢٢.





موضوعات سورة المجادلة







الموضوع الأول حكم كفارة الظهار



قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: ١-٤].

سبب نزول الآيات

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها، فكان يخفي عليّ كلامها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]»^(١).

(١) أخرجه أحمد ٢٢٨/٤٠ (ح ٢٤١٩٥) ط. الرسالة، والنسائي ١٦٨/٦ (ح ٣٤٦٠)، وابن ماجه ٦٧/١ (ح ٨٨)، والبخاري تعليقا ١١٧/٩، وصححه =



وفي رواية: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾»^(١).

وفي بعض الروايات: «جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا نبي الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي، وأحب الناس إليّ، قد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، قال: أنت عليّ كظهر أمي، فقال النبي ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه». قالت: لا تقل ذلك يا نبي الله، والله ما ذكر طلاقاً؛ فرأدت النبي ﷺ مراراً، ثم قالت: اللهم إني أشكو اليوم شدة حالي ووحدتي، وما يشق عليّ من فراقه، اللهم فأنزل عليّ لسان نبيك. فلم ترّم مكانها حتى أنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...﴾ إلى أن ذكر الكفارات، فدعاه النبي ﷺ فقال: «أعتق رقبة»، قال: لا أجد، فقال: «صم شهرين متتابعين»، قال: لا أستطيع، إني لأصوم اليوم الواحد فيشق عليّ، قال: «أطعم ستين مسكيناً»، قال: أما هذا فنعم»^(٢).

العرض الإجمالي للآيات:

افتتح الله ﷺ هذه السورة الكريمة بذكر حادثة الظهار، وهي

= ابن حجر في تعلق التعلق ٣٣٩/٥.

(١) أخرجه ابن ماجه ص ٥٦٦ (ح ٢٠٦٣)، والحاكم ٥٢٣/٢ (ح ٣٧٩١) وصححه، والبيهقي في السنن ٦٢٨/٧ (ح ١٥٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري ٤٥١/٢٢.

مظاهرة أوس بن الصّامت الأنصاري، - أخي عبادة بن الصامت -، من زوجته خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، كما تقدم في سبب النزول. فبيّن رضي الله عنه أنه قد سمع قول هذه المرأة التي جاءت سائلة عن حكم مظاهرة زوجها منها، محاورة للنبي صلى الله عليه وآله مراجعة له، شاكية حالها لله تعالى.

والظّهار عادةٌ من عوائد الجاهلية، وهو: أن يقول الرجل لزوجته: أنتِ عليّ كظهر أمي، ويكون ذلك بتشبيه المرأة بمن تحرم عليه على التأييد كالأم والأخت والعمة والخالة، ويعني: أنتِ محرمةٌ عليّ كتحریم أمي، وكانوا يعدّونه طلاقاً وتحريمًا مؤبداً لا رجعة فيه، فلما حصل ذلك من أوس ندم على ذلك، وحزنت زوجته خولة وأبت أن يقربها حتى تأتي النبي صلى الله عليه وآله فتستفتيه في ذلك، فجاءت إليه ولم يكن أنزل الله فيه شيئاً، فلما سألته وشكت حالها إلى الله صلى الله عليه وآله أنزل الله فيه هذه الآيات قبل أن تخرج من عنده، إن الله سميع لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنن الحاجات، بصيرٌ بخلقه لا يخفى عليه شيء من أمرهم، يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ولذلك سمع شكوى هذه المرأة وأنزل حكمها وحكم أمثالها.

ثم بيّن رضي الله عنه أن الظّهار قولٌ منكرٌ شرعاً قبيحٌ عرفاً، وبهتان وباطل، ذلك أنه تشبيهٌ للزوجة التي أحلها الله بالأم الوالدة التي هي في غاية التحريم، وما هي مثلها، ومع نكارة هذا القول وتحريمه فإن الله عفوٌ لمن تاب منه وندم عليه غفور لذنبه.

ثم ذكر رضي الله عنه كفارة من وقع منه الظّهار، فأوجب على من عاد منهم عن قوله فعزم على الجماع عتق رقبة مملوكة مؤمنة، سليمة من



العيوب المعتبرة، قبل أن يمَسَّ زوجته، مبيئًا ﷺ أن هذا الحكم مما يوعظ به المظاهرون؛ ليكون لهم زاجرًا عن فعل هذا المنكر، مبيئًا أنه ﷺ خبير بأعمالهم مجازيهم عليها.

فإن لم يجد المظاهر رقبَةً يعتقها أو لم يجد ثمنها، انتقل إلى النوع الثاني من أنواع الكفارة وهو صيام ستين يومًا متتابعة دون انقطاع إلا لعذر، فإن لم يستطع الصيام لمرض أو كِبَر أو غير ذلك أطعم ستين مسكينًا كل مسكين من قوت بلده، أو أعطى كل واحد منهم مُدَّ بَرًّا أو صاعًا من طعام.

ثم ختم الله هذه الآيات مخبرًا أن قبول هذا الحكم والعمل به من الإيمان بالله ورسوله، وأنه من الحدود التي شرعها، فلا ينبغي تجاوزها بفعل الظَّهار أو عدم الكفارة، مخبرًا أن الظهار من عمل أهل الجاهلية الكافرين الموعودين بالعذاب المؤلم في الآخرة^(١).

هدايات وفوائد الآيات:

- رعاية الله تعالى لعباده ورأفته بهم، حيث سمع شكوى هذه المرأة الضعيفة، وكشف كُرْبَتَهَا.

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بينما هو يسير على حمار، لقيته امرأة، فقالت: قف يا عمر، فوقف، فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالليوم شدة امرأة على رجل، ولا استماع رجل لامرأة، قال: ويحك، ما يمنعني أن أستمع إليها، وهي التي استمع الله لها، أنزل فيها ما أنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ﴾

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/٢٨٠، وابن كثير ٣٤/٨، والسعدي ص ٨٤٤،

والتحريير والتنوير ٦/٢٨، والتفسير المنير ١٢/٢٨.

- في زَوْجِهَا»، فما أحقني بأن استمع لمن استمع الله منها^(١).
- الظهر محرم؛ لأن الله سماه منكراً وزوراً، ولأنه تشبيه للزوجة الحلال بالأم، ولذلك كره بعض العلماء أن ينادي الرجل امرأته باسم أحد محارمه، كأن يقول: يا أمي يا أختي^(٢).
- دلت الآية الأولى على إثبات اسمين كريمين لله تعالى، وهم السميع البصير، والسميع يدل على إثبات صفة السمع لله تعالى على ما يليق به ﷻ، فهو يسمع جميع الأصوات، الجهر والسّر عنده سواء، والبصير يدل على إثبات صفة البصر لله تعالى، فهو يبصر جميع المخلوقات لا يخفى عليه شيء، ودلت الآية الثانية على إثبات اسمين كريمين هما: العفو الغفور، فهو المتجاوز عن ذنوب عباده يمحوها، ولا يعاقبهم عليها، وهو ذو المغفرة الواسعة لهم، وهي ستر الذنب، والتجاوز عن العقوبة، ودلت الآية الثالثة على إثبات اسم الله الخبير، فهو المطلع على بواطن الأمور وخفاياها^(٣).
- حرص الإسلام على تحرير الرقاب من الرّق، ولذلك جعل تحرير الرقبة من الكفارات في الظهر والقتل واليمين وغيرها.
- يسر الإسلام وسماحته، حيث تدرّج بالكفارة، وجعلها أنواعاً فمن لم يستطع العتق انتقل إلى الصيام، ومن لم يستطع الصيام أطمع.



(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢٤٥/٧، وانظر: الدر المنثور ٢٩٩/١٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ٨٤٥.

(٣) انظر: تنوير العقول والأذهان ص ١٣.





الموضوع الثاني

جزاء الذين يُعادون الله ورسوله ﷺ



قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلَّمَ اللَّهُ لِقَابًا يُنَادِي بِالنَّارِ لِلْكُفْرِينَ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوَّاهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: ٥ - ٧].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَحْكَامَ الظَّهَارِ، وَمَدَحَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاقِفِينَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَتَوَعَّدَ مَنْ خَالَفَ حُدُودَهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَا يَلْحَقُ الْمُخَالَفِينَ لِشَرَعِهِ الْمَعَادِينَ لِأَمْرِهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ خِزْيٍ وَهَوَانٍ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٍ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ مَطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، يَحْفَظُهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَجَازِيهِمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ (١).

(١) انظر: البحر المحيط ٢٣٤/٨، والتفسير المنير ٢٦/٢٨.



العرض الإجمالي للآيات: 

في هذه الآيات الكريمة يتوَعَدُ اللهُ ﷻ الذين يعادونه ويشاقُّونه بمخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ بالذُّلِّ والخِزْيِ والهوان في الدنيا كما هي سنَّه في أمثالهم من الأمم السابقة، فقد قامت عليهم الحُجَّةُ بإنزال الآيات البيِّنات الواضحات الدالة على وجوب الإيمان به وبرسوله واتباع شرعه، فمن كفر بها واستكبر عنها فله عذاب مهين في الدنيا والآخرة.

ثم يذكر ﷻ بمشهد عظيم مهول، وهو ذلك اليوم الذي يبعث اللهُ فيه الناس جميعًا على صعيد واحد، فيحاسبهم ويخبرهم بما عملوا في الدنيا من خير أو شر، قد كتبه وأحصاه ﷻ، وهم قد نسوه، ولم يحذروا عواقبه، والله ﷻ على كل شيء شاهد ومطلع لا يخفى عليه شيء.

ثم يؤكِّدُ ﷻ إحاطة علمه بكل شيء في السماء والأرض، وأنه مع خلقه بعلمه وإحاطته، فلا يخلو ثلاثة من عباده يتناجون ويتحدثون سرًّا في خير أو شر إلا كان رابعهم معهم بعلمه، ولا خمسة إلا وهو سادسهم، ولا أقل من هذا العدد أو أكثر إلا كان معهم حيثما كانوا، يراهم ويسمعهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم بما عملوا وتناجوا به يوم القيامة.

قال ابن كثير: «حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعُه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصرُه نافذ فيهم، فهو سبحانه، مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء»^(١).

(١) تفسير ابن كثير ٤٢/٨.



وهذا يوجب تقواه ﷺ ومراقبته في السر والعلن، وهو العليم الذي أحاط علمه بكل شيء (١).

هدايات وفوائد الآيات:

- في هذه الآيات وعيد للحكام الذين يتركون حكم الله ﷻ ويحكمون بقوانين وضعية مخالفة لما شرع الله ﷻ (٢).
- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ترهيب شديد، حيث تعرض أعمال العباد التي أسروها وأخفوها عن الناس على الأَشهاد يوم القيامة.
- أن عاقبة كل من عادى الله ورسوله ﷺ وتجاوز حدوده الذل والهوان في الدنيا والعذاب المهين يوم القيامة، وفي هذا بشارة للمؤمنين، ووعيد للكافرين (٣).
- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أكد ﷻ شمول علمه لكل شيء بمؤكدات ثلاثة: ﴿إِنَّ﴾ وهي حرف توكيد، وتقديم المتعلقين ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وكون الجملة اسمية، وقد افتتح الله هذه الآية بالعلم واختتمها بالعلم (٤).



(١) انظر: تفسير ابن جرير ٤٦٦/٢٢، القرطبي ٣٠٤/٢٠، وابن كثير ٤١/٨، والسعدي ص ٨٤٥، ٦/٢٨، والتفسير المنير ٢٦/٢٨، وتنوير العقول والأذهان ٢٧/٢.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١٠/٢٨.

(٣) انظر: التفسير المنير ٢٩/٢٨.

(٤) انظر: تنوير العقول والأذهان ٣١/٢.





الموضوع الثالث

آداب المناجاة بين المؤمنين



قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ هُمْ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَصِيرَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ [المجادلة: ٨ - ١٠].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ علمه التام بكل شيء ومعيته لعباده، واطلاعه على سرهم ونجواهم، ذكر شيئاً مما وقع فيه التناجى المنهي عنه، وهو تناجى اليهود والمنافقين بالإثم والعدوان^(١).

سبب نزول الآيات:

رُوي أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون

(١) انظر: نظم الدرر ٣٦٧/١٩، والتفسير المنير ٣٣/٢٨.



فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقربائهم، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

العرض الإجمالي للآيات:

افتتح الله ﷻ هذه الآيات بالاستفهام التقريري المتضمن لمعنى التعجب: ألم تنظر - يا محمد ﷺ - إلى أولئك الذين نهيتهم عن التناجي المحرّم، وهو المسارّة بين اثنين أو أكثر بما يحزن أو يضرّ المؤمنين، فلم يسمعوا ويطيعوا، بل عادوا إلى ما نهوا عنه فتسارّوا بالمعاصي والعدوان ومخالفة الرسول ﷺ، ومن ذلك: أنهم كانوا يحيون النبي ﷺ بتحية سيئة وهم يظهرون خلاف معناها الباطل، وقد اغترّوا بإمهال الله ﷻ لهم حيث كانوا يقولون: لو كان محمدٌ رسولاً حقاً لعذبنا الله على هذا القول الذي يتضمن السخرية والدعاء عليه، فتوعدهم ﷻ بجهنّم يقاسون حرّها، وكفى بها عذبا، وبئست مآبا.

عن عائشة رضي الله عنها: أن اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك،

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٦٤٨، والبغوي في تفسيره ٣٠٧/٤، والقرطبي ٣٠٨/٢٠، وانظر: تفسير ابن جرير ٤٧٠/٢٢، والدر المثور ٣٢٠/١٤.

قال: وعليكم، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف، أو الفحش». قالت: أولم تسمع ما قالوا؟! قال: «أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في»^(١).

وفي رواية لمسلم: فنزلت: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢).

ثم بيّن ﷺ آداب المناجاة بين المؤمنين، حيث نهاهم عن مشابهة اليهود والمنافقين الذين يتناجون بالإثم والعدوان والعصيان للرسول ﷺ، وأمرهم بالتناجي بالبرّ الذي يشمل كل خير وطاعة، والتقوى التي تقتضي ترك ما نهى الله عنه خوفاً من عقابه، مذكراً لهم بأنهم جميعاً مجموعون إليه ليحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها.

ولمّا ذكر آداب المناجاة بيّن ﷺ أن النجوى التي يُتوهم منها السوء إنما هي من وسوسة الشيطان وكيده وتزيينه ليحزن المؤمنين، والواقع أن ليس بضارهم شيئاً إلا بإرادة الله تعالى وإذنه، فينبغي أن يتوكل عليه ﷺ المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه فإن من توكل عليه كفاه^(٣).

وقد ورد النهي عن تناجي الجماعة دون واحد لما يترتب على ذلك من حصول الشك أو سوء الظن عنده، قال النبي ﷺ: «إذا كنتم

(١) أخرجه البخاري ٨٥/٨ (ح ٦٤٠١)، ومسلم ١٧٠٦/٤ (ح ٢١٦٥).

(٢) صحيح مسلم ١٧٠٧/٤ (ح ٢١٦٥)، وانظر: تفسير ابن جرير ٤٧١/٢٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٤٦٨/٢٢، القرطبي ٣٠٨/٢٠، وابن كثير ٤٢/٨،

والسعدي ص ٨٤٥، والتفسير المنير ٣٣/٢٨.



ثلاثة، فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه»^(١).

هدايات وفوائد الآيات:

١ - من عوائد اليهود والمنافقين التآمر والكيده للإسلام وأهله، ومن ذلك تناجيهم بالإثم والعدوان، وتواصيهم بمخالفة الرسول ﷺ، وإساءة الأدب معه، والاعتزاز بإمهال الله^(٢).

٢ - نداء المؤمنين بوصف الإيمان: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه تكريم وتشريف لهم، ودلالة على أن امتثال ما أمروا به بعده من مقتضيات الإيمان^(٣).

٣ - الوعيد الشديد لليهود والمنافقين، الذين تناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، وأسأوا الأدب معه؛ فحيوه بما لا يليق به.



(١) أخرجه البخاري ٦٥/٨ (ح ٦٢٩٠)، ومسلم ١٧١٨/٤ (ح ٢١٨٤).

(٢) انظر: التفسير المنير ٣٥/٢٨.

(٣) انظر: تنوير العقول والأذهان ٣٨/٢.





الموضوع الرابع

أدب المجالس



قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

✍ مناسبة الآية لما قبلها:

لما نهى الله ﷻ في الآيات السابقة المؤمنين عما يكون سبباً للحزن والعدوان والبغضاء بينهم، أمرهم في هذه الآية الكريمة بما يكون سبباً في المودة والتراحم بينهم؛ وهو التوسعة في المجالس، والانصراف عنها إذا طلب منهم ذلك لمصلحة معينة^(١).

✍ سبب نزول الآية:

رُوي في سبب نزولها أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنُّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض^(٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣١٥/٢٠، والألوسي ٢٧/٢٨، والمراغي ١٥/٢٨.

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة ٨٤٧٦/٢٢.



العرض الإجمالي للآية:

يأمر ﷺ المؤمنين في هذه الآية الكريمة إذا طلب منهم التوسُّع في المجالس، ولا سيما مجالس العلم والخير والطاعة، أن يفسح بعضهم لبعض ويوسُّعوا لمن قَدَم حتى يشاركهم في الجلوس، مرغَّبًا لهم بذكر جزاء هذا العمل، وهو أن الله تعالى يوسِّع لهم في الدنيا والآخرة، كما وسَّعوا لإخوانهم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولا شك أن هذا الأدب يورث الرحمة والمودة بين المؤمنين.

ثم ذكر ﷺ أدبًا آخر من آداب المجالس، وهو أنه إذا طلب منهم أن يقوموا من المجلس لحاجة، أو طاعة كالجهاد والصلاة، أو قدوم من يجب تقديره وتقديره، أو غير ذلك من الأغراض التي توجب القيام = أن يقوموا تحصيلًا لتلك المصالح، فإن ذلك من خصال أهل العلم والإيمان، الذين وعدهم الله ﷻ برفعة درجاتهم في الدنيا والآخرة، أمَّا إذا لم يوجد سببٌ أو مصلحة شرعية لأمرهم بالقيام فإنه لا يجوز أن يُقام الإنسان من مجلسه لما ثبت عن النبي ﷺ أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا، وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه^(١).

وقد حَصَّ أهل العلم بالذكر وإن كانوا داخلين في عموم الذين آمنوا لفضلهم على غيرهم، ثم ختم الآية ببيان اطلاعه على أعمال عباده ومجازاتهم عليها^(٢).

(١) أخرجه البخاري ٦٢٧٠/٦١/٨، ومسلم ١٧١٤/٤ (ح ٢١٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٣١٥/٢٠، وابن كثير ٤٥/٨، والسعدي ص ٨٤٦.

هدايات وفوائد الآية:

١ - عناية الإسلام بالآداب التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتنشر الألفة والمحبة بينهم، ومن ذلك الأمر بالتفسُّح في المجالس وترتيب الفضل العظيم على ذلك.

٢ - قال الرازي عند قوله تعالى: ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: «هو مطلق في كل ما يطلب الناسُ الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة.

واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل مَنْ وَسَّعَ على عباد الله أبوابَ الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه»^(١).

٣ - في الآية بيان فضل العلم وأنه يرفع صاحبه وإن لم يكن له حَسَبٌ ونسب، وقد ثبت أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي^(٢)؟ فقال: ابن أُبزى. قال: ومن ابن أُبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضعُ به آخرين»^(٣).



(١) تفسيره (الرازي) ٤٩٤/٢٩.

(٢) يعني: مكة.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥٩/١ (ح ٧١٨).





الموضوع الخامس

الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ



قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَحِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣].

مناسبة الآيتين لما قبلهما:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي الآيَاتِ السَّابِقَةِ أَدَبَ الْمَنَاجَاةِ وَالْمَجَالَسَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، ذَكَرَ ﷻ شَيْئًا مِنْ آدَابِ مَجَالَسَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْحَدِيثِ مَعَهُ، وَهُوَ الصَّدَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبْلَ مَنَاجَاةِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ وَيَكْثُرُونَ الْحَدِيثَ مَعَهُ، وَرَبَّمَا شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ، فَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ قَبْلَ مَنَاجَاةِ تَخْفِيفًا عَلَيْهِ وَتَوْقِيرًا لِمَنَاجَاةِ (١).

سبب نزول الآية:

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن المسلمين أكثروا المسائل على

(١) انظر: التفسير المنير ٤٦/٢٨.



رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيّه؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَفَعَلُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ؕ أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فوسّع الله عليهم، ولم يضيق^(١).

العرض الإجمالي للايتين:

في الآية الكريمة الأولى يأمر الله ﷻ صحابة نبيّه ﷺ بالصدقة عند إرادة التحدث معه أو سؤاله، وذلك تخفيفاً على النبي ﷺ وتوقيراً له، ونفعاً للفقراء، وتمييزاً للمؤمنين الصادقين عن المنافقين، وذلك أن المسائل كثرت عليه ﷺ كما تقدم.

ثم يبين ﷻ فضل الصدقة وأنها خيرٌ وأجرٌ ثابت للإنسان وطهارة لنفسه من الشح والبخل، والأخلاق الرديئة التي منها ترك احترام النبي ﷺ بكثرة مناجاته من غير حاجة.

ولما كان بعض الناس فقراء لا يجدون ما يتصدقون به، رفع ﷻ الحرج عنهم وأباح له مناجاة النبي ﷺ من غير صدقة، والله غفور رحيم بعباده.

وبعد نزول هذه الآية بفترة يسيرة نزلت الآية الثانية التي نسخ الله هذا الحكم ورفعته عن المؤمنين، فأباح مناجاة نبيه ﷺ من غير صدقة رحمةً بهم وتيسيراً عليهم ورفعاً للمشقة عنهم، بعد أن تحققت الحكمة من ذلك، وهي تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، ثم بين ﷻ أنهم

(١) أخرجه ابن جرير ٤٨٥/٢٢، وانظر: الدر المنثور ٣٢٤/١٤.



إن لم يقدّموا هذه الصدقة فقد عفا عنهم، فعليهم أن يؤدوا الصلاة تامةً بشروطها وواجباتها، ويؤتوا الزكاة المفروضة طيبةً بها نفوسهم، ويطيعوا الله ورسوله، بامثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، والله خبير بأعمال عباده مطلع عليها ومجازيهم بها^(١).

هدايات وفوائد الآيتين:

- ١ - رحمة الله بأمته حيث شرع النسخ لحكم عديدة منها: التخفيف عليهم، ومن ذلك نسخ الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ.
- ٢ - عظم شأن الصلاة والزكاة في الإسلام، ولذلك خصّهما الله تعالى بالذكر، حيث إنهما أمُّ العبادات البدنية والمالية، وفيهما قيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده^(٢).
- ٣ - إثبات اسمين من أسماء الله تعالى الحسنين وهما: الغفور، الرحيم، وما دلاً عليه من الصفات العُلى.



(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٢١/٢٠، وابن كثير ٤٩/٥، والسعدي ص ٨٤٧، والتفسير المنير ٤٦/٢٨.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ٨٤٧.





الموضوع السادس

بيان حال المنافقين الموالين لليهود



قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمْ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٩].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر الله ﷻ في الآية السابقة عن إحاطة علمه بكل شيء ذكر هنا اطلاعاً على حال المنافقين الذين يبتغون الكفر، وموالاتة اليهود الذين غضب الله عليهم (١).

سبب نزول الآيات:

ورد في سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان في ظلِّ حُجْرَةٍ من

(١) انظر: نظم الدرر ٣٨٥/١٩.



حُجِرِهِ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَدْ كَادَ يَقْلُصُ عَنْهُمْ الظِّلَّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنِي شَيْطَانٌ، فَإِذَا أَتَاكُمْ، فَلَا تَكَلِّمُوهُ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ أَزْرَقٌ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ، قَالَ: «عَلَامٌ تَشْتَمُنِي أَنْتَ، وَفُلَانٌ، وَفُلَانٌ؟ نَفَرٌ دَعَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، قَالَ: فَذَهَبَ الرَّجُلُ فَدَعَاهُمْ فَحَلَفُوا بِاللَّهِ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَرٍّ وَبِحَسْبٍ﴾ الْآيَةُ (١).

العرض الإجمالي للآيات:

وفي هذه الآيات الكريمة يخبر ﷺ عن سوء حال المنافقين الذين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ويوآدونهم، ويبين ﷺ أن هؤلاء المنافقين مذذبون ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعدوان، وكان من صفاتهم الذميمة أنهم يحلفون الأيمان الكاذبة أنهم مؤمنون مصدقون للرسول ﷺ، وهم يعلمون كذب أنفسهم، وهذه هي اليمين الغموس، التي هي ديدن المنافقين في كل زمان.

ثم توعدهم الله ﷻ بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة جزاءً لأعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة، وقد جعلوا أيمانهم الكاذبة وقايةً لدمائهم وأموالهم وسترًا من لوم رسول الله ﷺ وأصحابه، فأعرضوا عن دين الله وصدوا غيرهم عن الإيمان به، فكان جزاؤهم العذاب المهين المخزي لهم في الدنيا والآخرة، ولن تنفعهم أموالهم وأولادهم وتدفع عنهم من عذاب شيئًا، بل سيكون مآلهم إلى النار مقيمون

(١) أخرجه أحمد ٢٣٢/٤ (ح ٢٤٠٨) ط. الرسالة، والطبري في تفسيره ١٤/

بها فيها أبداً لا يخرجون منها.

ثم يذكر الله ﷻ مشهداً من مشاهد خزيهم وفضيحتهم يوم القيامة، وذلك يوم يبعثهم من قبورهم للحساب فيبادرون بالحلف الكاذب أنهم مؤمنون، كما كانوا يحلفون للمؤمنين في الدنيا ظانين أن ذلك سينجيهم من عذاب الله ﷻ، وهيهات أن يروج كذبهم على علام الغيوب.

ثم ذكر ﷻ سبب ضلالهم، وأنه استيلاء الشيطان عليهم، وتزيينه لأعمالهم، وصدّه لقلوبهم، حيث أنساهم ذكر الله وصرفهم عن آياته، فكانوا من أتباعه وجنده الخاسرين في الدنيا والآخرة^(١).

هدايات وفوائد الآيات:

- ١ - النهي عن موالة من عادى الله ورسوله ﷺ.
- ٢ - أن المنافقين في حيرة وضلال، فلا هم مع المؤمنين ولا مع الكافرين، قد استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وصرفهم عن دينه.
- ٣ - وجوب حفظ الأيمان، والترهيب من الأيمان الكاذبة التي هي من عادات المنافقين.



(١) انظر: تفسير ابن جرير ٤٨٧/٢٢، وابن كثير ٥١/٨، والسعدي ص ٨٤٧.





الموضوع السابع

بيان عاقبة المعادين لله ورسوله وجزاء المؤمنين الصادقين



قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

[المجادلة: ٢٠ - ٢٢].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر ﷺ في الآيات السابقة حال المنافقين وموالاتهم لليهود ذكر في هذا الآيات عاقبة من عاداه وعادى رسوله ﷺ، كما ذكر صفة المؤمنين الصادقين، وأنهم لا يتولون أعداء الله ولو كانوا أقرب الناس إليهم نسباً.

العرض الإجمالي للآيات:

في هذه الآيات الكريمة يؤكد ﷺ ذلَّ وهوان وخذلان من عاداه



وعادى رسوله ﷺ وخالف شرعه، ويبشّر أوليائه المؤمنين به وبرسوله بأنه قد كتب لهم الغلبة والنصر، وهو القوي الذي لا غالب له، العزيز القهار.

ثم يخبر ﷺ أنه لا يمكن لمؤمن صادق الإيمان بالله واليوم الآخر أن يحب ويودّ من شاقّ وعادى الله ورسوله وخالف أمرهما من اليهود وغيرهم من الكفرة والمشركين، ولو كان هؤلاء المعادون المعاندون من الأرحام والقربات، من الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة؛ لأن الله تعالى قد ثبت الإيمان وألزمه قلوبهم، وقوّاهم بوحيه وتوفيقه ومدده، وهذا فضل كبير منه ﷺ، وفي الآخرة لهم الجزاء العظيم، وهو دخول جنات النعيم التي تجري من تحت قصورها وحدائقها الأنهار ماكثون فيها أبداً لا يموتون، ولا يتحولون عنها، ولهم من النعيم ما هو أكبر من ذلك وأعظم وهو رضوان الله ﷻ عليهم، هؤلاء هم حزب الله وأوليائه حقيقةً وأهل كرامته، وهم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة الناجون من عذاب الله (١).

هدايات وفوائد الآيات:

١ - أن عاقبة الكفار المعادين لله ورسوله ﷺ الذل والخذلان في الدنيا والآخرة.

٢ - وعد المؤمنين الصادقين بالنصر والتمكين.

قال ابن كثير: «قد حكم وكتب في كتابه الأول، وقدره الذي لا يُخالف ولا يمانع، ولا يبدل، بأن النُصرة له ولكتابه ورسوله وعباده

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٤٨٧/٢٢، وابن كثير ٥٣/٨، والسعدي ص ٨٤٨.



المؤمنين، في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين...»^(١).

٣ - إثبات اسمين كريمين من أسماء الله تعالى وهما: القوي، العزيز، وما يدلان عليه من صفات كريمة تليق بجلاله وعظمته^(٢).

٤ - أنه لا يليق بالمؤمن موادة من عادى الله ورسوله ﷺ ولو كان أقرب قريب.

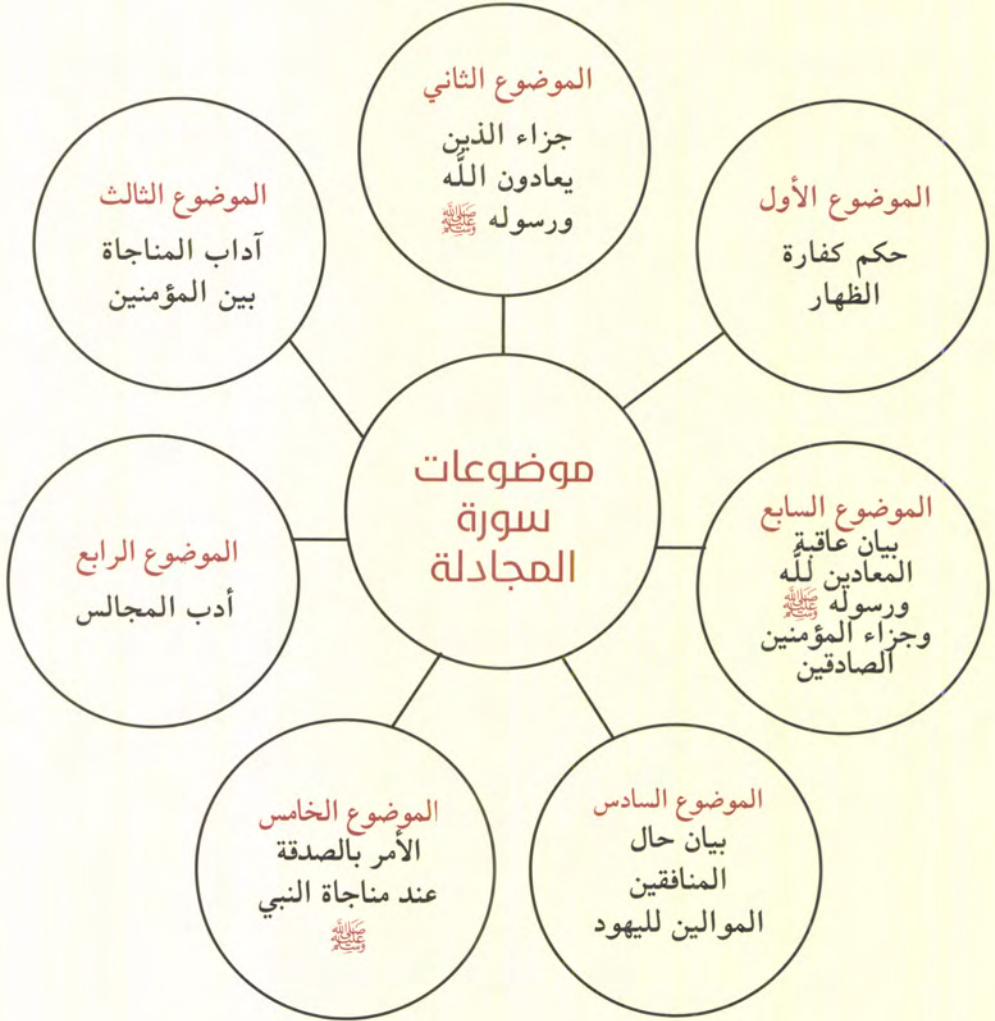
٥ - وعد المؤمنين الصادقين بالشواب الجزيل، والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير: «وفي قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] سرٌّ بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله، عوّضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه، بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم»^(٣).

(١) تفسيره ٥٤/٨.

(٢) انظر: تنوير العقول والأذهان ٧٠/٢.

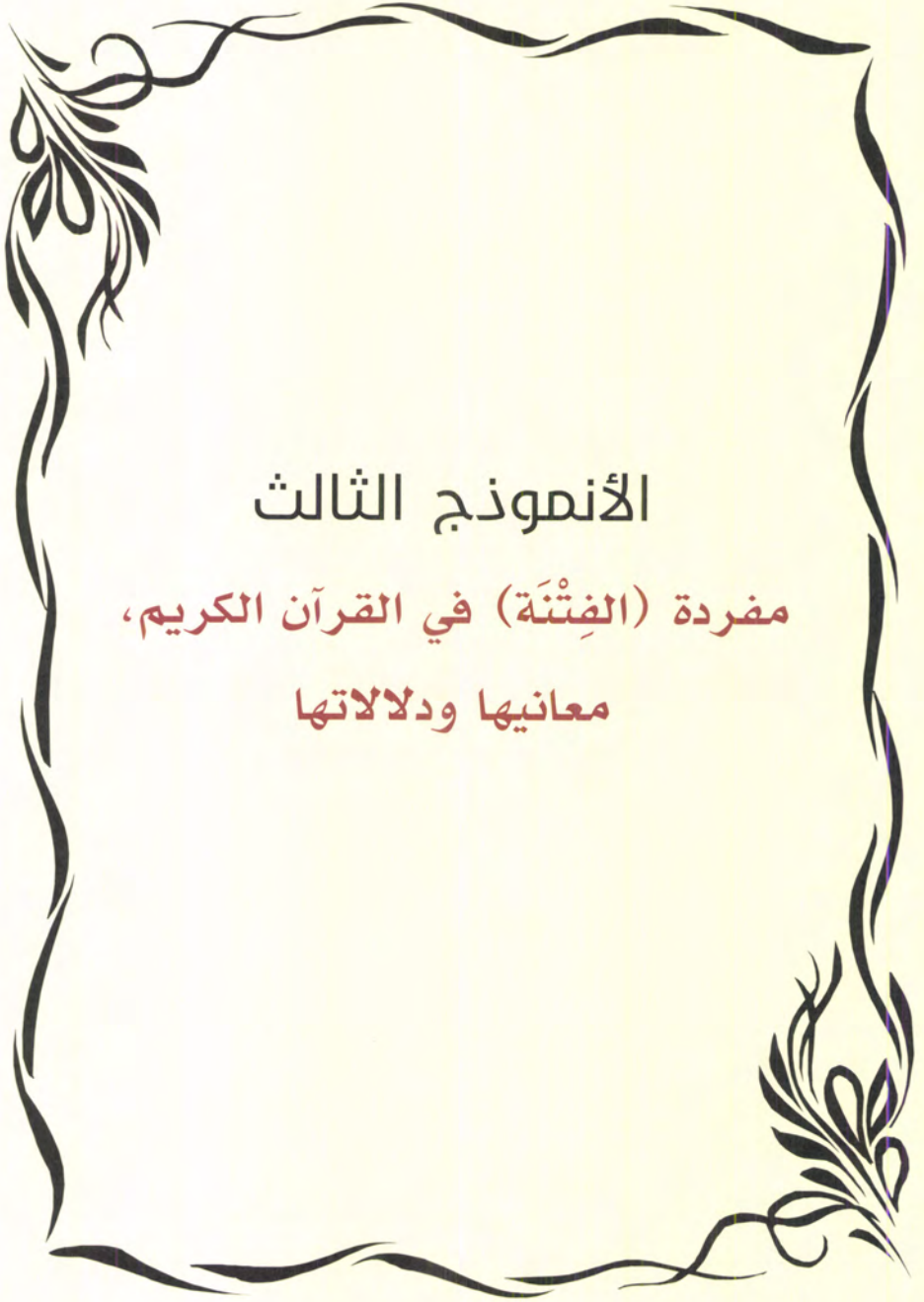
(٣) تفسير ابن كثير ٥٥/٨.





الأنموذج الثالث

مفردة (الفِئْتَة) في القرآن الكريم،
معانيها ودلالاتها







المبحث الأول

المعاني اللغوية للفتنة



الْفِتْنَةُ مصدر (فَتَنَ) بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار. قال الأزهري: «جَمَاعُ معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذٌ من قولك: فَتَنْتُ الفضة والذهب، إذا أَدْبَتَهُمَا بالنار ليتميز الرديءُ من الجيد، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي يُحْرَقُونَ بالنار»^(١).

وقال ابن فارس: «(فَتَنَ) الفاءُ والتاء والنون أصلٌ صحيح، يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فِتْنًا، وَفَتَنْتُ الذهبَ بالنار، إذا امتحنته، وهو مَفْتُونٌ وَفَتِينٌ، وَالْفِتْنَانُ: الشيطان»^(٢).

وقال ابن الأثير: «يقال: فَتَنْتُهُ أَفْتِنُهُ فِتْنًا وَفُتُونًا: إذا امْتَحَنْتَهُ، ويقال فيها: أَفْتَنْتُهُ أَيضًا وهو قليل، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبارُ للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والصَّرْفُ عن الشيء»^(٣).

(١) تهذيب اللغة ١٤/٢١١.

(٢) مقاييس اللغة ٤/٤٧٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤١٠.



ومن الألفاظ المرادفة أو المقاربة للفتنة: لفظ الابتلاء، ولفظ الامتحان، والمراد بهما: الاختبار، كما تقدم في كلام أهل اللغة. والفتنة أشدُّ الاختبار وأبلغُهُ، وتكون في الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ۗ لِنُفِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧] (١).



(١) انظر الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٩٦.





المبحث الثاني

معنى «الفتنة» اصطلاحًا



اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الفتنة اصطلاحًا، وحاصلها أن المراد بالفتنة: ما يتعرض له الإنسان من مكروه أو محبوب يُظهِرُ ما يُبْطِنُهُ في نفسه من خير أو شر.

وقد عرّفها الزمخشري بقوله: «الفتنة: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذِّ، وبالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم»^(١).

وقال الجرجاني: «الفتنة: ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر»^(٢).

وإطلاق الفتنة على الشدة والمكروه أكثر من إطلاقها على الخير والرخاء.

قال الراغب الأصفهاني: «والفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر

(١) الكشاف ١٨٢/٣.

(٢) التعريفات ص ١٦٥. وانظر: فتح الباري لابن حجر ١٧٧/١١.



استعمالاً، وقد قال الله تعالى فيهما: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال في الشدة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَقَبَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد، كالبليّة والمصيبة، والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بصد ذلك، ولهذا يذمُّ الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان نحو قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، ﴿مَا آتَتْ عَلَيْهِ بَفْتِنَيْنِ﴾ [الصفات: ١٦٢] أي: بمضلين...»^(١).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة، فالفتنة تُظهر ما يُبْطِنُهُ الإنسان، كما تُظهر النارُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة. والناس إنما يتمايزون وتظهر مكنونات نفوسهم وبواطن أحوالهم عند الفتن والبلايا والمحن، فهي اختبار للإنسان ومِعْيَارٌ لما يُبْطِنُهُ في نفسه.



(١) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢٤ بتصرف يسير.





المبحث الثالث

معاني «الفتنة» في القرآن الكريم



وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الفتنة) ومشتقاتها في القرآن الكريم ستين مرةً، في اثنتين وثلاثين سورة، تسع عشرة سورة مكيةً، وست عشرة سورة مدنيةً، بتصريفات متنوعة^(١)، كما يلي:

١ - صيغة المَصْدَر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

٢ - صيغة اسم الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾ [الصفات: ١٦٢].

٣ - صيغة اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفُتُونَ﴾ [القلم: ٦]^(٢).

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥١١ - ٥١٢.

(٢) وقيل إن ﴿أَلْمَفُتُونَ﴾ هنا مصدرٌ على وزن مفعول، كالمعقول بمعنى العقل، والميسور بمعنى اليُسْر، والمعقود بمعنى العَقْد، وهذا مروى عن بعض السلف، واختاره ابن جرير، والنحاس، وضعفه ابن تيمية. انظر تفسير ابن جرير الطبري ١٥٣/٢٣ وما بعدها، وإعراب القرآن للنحاس ٥/٥،



٤ - صيغة الفعل الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَنْبُؤُوا لَهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَهُمْ وَعَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فتنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

٥ - صيغة الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفَنِّتَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

وقد وردت «الفتنة» في القرآن الكريم على أوجهٍ ومعانٍ متعددة، كما يلي^(١):

الوجه الأول: الابتلاء والامتحان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقوله ﷺ: ﴿وَفَنَّكَ فُنُونًا﴾ [طه: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

الوجه الثاني: العذاب في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فتنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

= وتفسير آيات أشكلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٦/١ وما بعدها.

(١) انظر الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص ٧٤، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٤٧٨، والوجوه والنظائر للدماغاني ص ٥٩١، وبعض هذه الأوجه داخلة في بعض، لكن بعض المفسرين وأصحاب الوجوه والنظائر يعددون المعاني، وإن كانت من باب التفسير بالمثل أو اللازم.

يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴿العنكبوت: ١٠﴾.

الوجه الثالث: الإحراق في النار، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ سَتَعَجِلُونَ ﴿الذاريات: ١٤﴾، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿البروج: ١٠﴾.

الوجه الرابع: الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴿البقرة: ١٩٣﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴿البقرة: ١٩١﴾، وقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴿البقرة: ٢١٧﴾.

الوجه الخامس: الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴿آل عمران: ٧﴾، وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ ﴿التوبة: ٤٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّمَا فَنَّنَاكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿الحديد: ١٤﴾. قال مقاتل: «يعني: كفرتم، وكذلك كل فتنة في المنافقين واليهود»^(١).

الوجه السادس: الإثم والمعصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ سَمِعْنَاكَ لِي وَلَا فَتْنًا لِي وَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿التوبة: ٤٩﴾، وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴿الحديد: ١٤﴾.

الوجه السابع: القتل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْرُوا مِنْ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿النساء: ١٠١﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴿يونس: ٨٣﴾.

(١) الوجوه والنظائر لمقاتل ص ٧٤.

الوجه الثامن: الصدُّ عن الدِّين، كما في قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال ﷺ: ﴿وَلِنْ كَادُوا لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣].

الوجه التاسع: العُذر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

الوجه العاشر: الجنون، كما قال تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، أي في أيكم الجنون، أو المجنون^(١).

الوجه الحادي عشر: التَّسْلِيْط، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المتحنة: ٥]، أي لا تسلطهم علينا، فيظنوا أنهم على حق، وأنا على باطل، فنكون بذلك فتنة لهم^(٢).

الوجه الثاني عشر: الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله ﷺ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْتِينَ﴾ [الصفات: ١٦١، ١٦٢] أي: بِمُضِلِّينَ^(٣).

(١) وهذه الآية من الآيات المُشكلة، وفيها خلاف طويل، والأظهر أن معناها: في أيِّ الفريقين منكم يوجد المجنون، فريقك يا محمد ﷺ أو فريق الكفار. انظر اختيارات ابن تيمية في التفسير ٥٩٣/٢، وتقدّم أول هذا المبحث أن هناك خلافاً في لفظ «المفتون» فقليل: هو اسم مفعول، وقيل: مصدر.

(٢) وقيل المراد: لا تنصر وتسلط أعداءنا علينا، فيظنوا أنهم على حق، فيكون ذلك فتنة لهم. انظر: تفسير الطبري ٥٦٩/٢٢، و٢٥٠/١٢، وتفسير الماوردي ٥١٨/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦٤٧/١٩)، والوجوه والنظائر للدماغاني ص ١٢٢.

المبحث الثالث: معاني «الفتنة» في القرآن الكريم

٢١٧

وهنا أنبّه إلى أن بعض هذه الأوجه راجعة إلى بعض، وأن بعض الآيات المذكورة فيها خلاف، فهي مثال للوجه على أحد الأقوال الواردة فيها.

وأكثر معاني الفتنة وُرُودًا في القرآن الكريم هو الابتلاء والاختبار^(١).

هذا ويرى الشنقيطي أن معاني الفتنة في القرآن أربعة:
الأول: الوضع في النار.

الثاني: الاختبار، وهو الأغلب في استعمال الفتنة.

الثالث: نتيجة الاختبار إذا كانت سيئةً، ومن ذلك: الكفر والشرك والضلال والمعصية.

الرابع: الحُجَّة (العدر)^(٢).

والوجه الثالث لم يُسَبَقْ إلى النَّص عليه - حسب علمي - وهو وَجِيهٌ جدًّا؛ فإن بعض هذه الوجوه المذكورة في معاني الفتنة إنما تحصل بعد ابتلاء الإنسان بما لا يصبر عليه من شرٍّ أو خير. وعند التأمل يمكن ردُّ هذه المعاني إلى معنيين:

الأول: الابتلاء، ويدخل فيه أكثر المعاني المذكورة، ومنها: الحرُّق بالنار في الدنيا الوارد في آية البروج، فإنه ابتلاءٌ عظيم، كما في حديث صهيب رضي عنه في قصة أصحاب الأخدود وفيه: «فأمر بالأخدود في أفواه السِّكِّكِ، فحُدَّتْ وأُضْرِمَ النَّيِّرَانَ، وقال: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنِ

(١) انظر: أضواء البيان ٧٩/٤، ٥٥٩/٥.

(٢) انظر: أضواء البيان ٥٥٩/٥، ٧٩/٤، ٢٨٩/٥، والعذب النمير من مجالس

الشنقيطي في التفسير ٢٧٩/١، ١٥٩٦/٤.



دينه فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أو قيل له: اقْتَحِمْ»^(١).

الثاني: نتيجة الابتلاء، ويدخل فيه: الكفر والشرك والمعصية والضلالة، ولعله يدخل في ذلك: الحَرْقُ بالنار في الآخرة، الوارد في آية الذاريات؛ فإنه جزاءٌ لهم بعد فتنتهم، قال السَّعدي عند قوله تعالى: ﴿ذُقُوا فَنَتَكُفِّرُ﴾: «أي: العذاب والنار، الذي هو أثر ما افتتنوا به، من الابتلاء الذي صَيَّرهم إلى الكفر، والضلال»^(٢).

كذلك يدخل فيه الجنون المذكور في آية القلم ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْفَتُونُ﴾، على القول بأن معنى المجنون: الضال، وهو مروى عن الحسن البصري^(٣).

وقال ابن كثير: «ومعنى المفتون ظاهر، أي: الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه»^(٤).

كما يدخل في هذا النوع الثاني: العُذْرُ أو المَعْدِرَة المذكور في آية الأنعام: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

قال ابن جرير الطبري عند هذه الآية: «الصواب من القول في ذلك أن يقال معناه: ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فَوَضَعْتُ الفتنَةَ موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام، وإنما الفتنَة: الاختبار والابتلاء، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار، وضعت الفتنَة التي هي الاختبار موضع

(١) أخرجه مسلم ٢٣٠٠/٤ (ح ٣٠٠٥).

(٢) تفسير السعدي ص ٨٠٨، وانظر: التحرير والتنوير ٢٦/٣٤٦.

(٣) انظر: تفسير الماوردي ٦/٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير سلامة ٨/١٩٠.



الخبر عن جوابهم ومعذرتهم»^(١).
 وقال ابن عطية: «المعنى ثم لم يكن اختبارنا لهم إذ لم يفد ولا
 أثمر، إلا إنكارهم الإشراف»^(٢).
 وقال القرطبي: «الفتنة الاختبار، أي لم يكن جوابهم حين اختبروا
 بهذا السؤال، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي...»^(٣).



(١) تفسير الطبري ١٩١/٩.

(٢) تفسير ابن عطية ٢٧٨/٢، وانظر: رتفسير الماوردي ١٠٢/٢.

(٣) تفسير القرطبي ٤٠١/٦، وانظر: التحرير والتنوير ١٧٦/٧.





المبحث الرابع

أنواع الفتن في القرآن الكريم



يمكن تقسيم الفتنة إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة^(١)، لكن لما كان البحث هنا في المفردة القرآنية، وليس في موضوع الفتنة الذي يرد في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، كان الأنسب تقسيمها إلى نوعين رئيسيين، يندرج تحتها صورٌ عديدة، وهما: الفتنة بالشرِّ والشدة، والفتنة بالخير والرِّخاء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) يرى ابن القيم: أن الفتنة نوعان:

فتنة الشبهات - وهي أعظم الفتنتين - وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما، وأن سبب فتنة الشبهات ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، وهذه الفتنة مألها إلى الكفر والتفاق والبدعة.

وأما النوع الثاني من الفتنة: فتنة الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]. أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، ثم قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾؛ وهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات. انظر: إغاثة اللفهان ١٦٠/٢.



أَلَمَوْتِ وَنَبِّؤِكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند هذه الآية: «يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإلينا يردون فيجازون بأعمالهم، حسنها وسيئها»^(١).

وقال ابن كثير: «أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط»^(٢).

قال ابن عطية: «وقدّم الشرّ لأن الابتلاء به أكثر، ولأن العرب من عاداتها أن تقدم الأقل والأردى...»^(٣).

والنوع الأول - الفتنة بالشرّ والشدة - أكثر وروداً واستعمالاً في القرآن الكريم^(٤).

ومن الناس من يُفْتَنُ بالخير، ومنهم يفتن بالشر، ومنهم من يفتن بهما جميعاً، نسأل الله العافية من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

✍ النوع الأول: الفتنة بالشرّ والشدة:

وفي هذا النوع وَرَدَتْ معظمُ الآيات التي جاء فيها لفظُ (الفتنة)، فمن ذلك:

- الفتنة بالأذى والعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢٦٩/١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٢/٥.

(٣) تفسير ابن عطية ٨١/٤.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٠/٣.



لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [النحل: ١١٠]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]،
وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبُوءُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ
مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس: ٨٣].

وتقدم ذكر معاني الفتنة في هذه الآيات في المبحث السابق.

- ومن ذلك: الفتنة بالشرك والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هُمْ
حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله سبحانه: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾
[البقرة: ١٩١]، وقوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله
تعالى: ﴿ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ
أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد: ١٤].

- ومن ذلك: الفتنة بالإثم والمعصية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ
مَّن يَقُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَتَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ
وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ [الحديد: ١٤].

النوع الثاني: الفتنة بالخير والرخاء:

ورد لفظ الفتنة في القرآن الكريم بمعنى الخير، ومن صور ذلك:
- فتنة الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقوله
ﷻ: ﴿ إِنََّّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥].

والمراد: أن حبَّ المال والوَلَد قد يكون سببًا لمخالفة أمر الله تعالى، وانتهاك حُرْمَاتِهِ، والانشغال عن طاعته^(١).

وهذا أمرٌ مشاهد، فكم من الناس فتنهم حُبُّ الأموال والأزواج والأولاد، فوقعوا في الحرام، وقصَّروا في طاعة الله تعالى وأداء حقوقه.

- ومن ذلك الفتنة بملذات الدنيا وبهيجتها وشهواتها، كما في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

قال ابن كثير: «يقول تعالى لنبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه -: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور»^(٢).

قال ابن عطية: «وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أبلغ من «ولا تنظر»، لأن الذي يمدُّ بصره إنما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه»^(٣).

- ومن ذلك الفتنة بالصِّحَّة والعافية وسعة الرِّزق، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٩].

(١) انظر تفسير القرطبي ٤٢/١٨، وتفسير ابن كثير ١٦١/٥، أضواء البيان ٢/

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢٦/٥.

(٣) تفسير ابن عطية ٧٠/٤.



وفي هذه الآية يخبر تعالى عن حال الإنسان، حيث يلجأ إلى الله ﷻ ويدعوه في حال الشدة والضراء، فإذا كشف الله ضره وعافاه في بدنه ووسع معيشته جحد نعمة الله، وزعم أنه إنما أوتيته لعلم الله أنه أهل لذلك، والواقع أن ذلك امتحان من الله يتميز به الشاكر من الكافر^(١).

ومن الآيات الواردة في هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿وَأَلُو أَسْتَقْتُمُوا عَلَى الطَّرِيفَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ لَنُفِئَنَّهُمْ فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

«وتخصيص الماء الغدق - وهو الكثير - بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة، ولعزة وجوده بين العرب»^(٢).

أنواع الفتنة في القرآن الكريم

النوع الثاني: الفتنة
بالخير والرحمة

النوع الأول: الفتنة
بالشر والشدة



(١) انظر تفسير الطبري ٢٠/٢٢٠، وابن عطية ٤/٥٣٦، والسعدي ص ٧٢٧.

(٢) تفسير البيضاوي ٥/٢٥٣.



المبحث الخامس

أساليب القرآن في ذكر الفتنة



ذَكَرَتْ الْفِتْنَةَ فِي الْقُرْآنِ بِأَسَالِبٍ مُتَعَدِّدَةٍ، أْبْرَزَهَا مَا يَلِي (١):

١ - أسلوب الأمر، حيث جاء التحذير من الفتنة بهذا الأسلوب في تعالى: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يحذّر فتنة اليهود حينما يحتكمون إليه، فإنهم كذّبة كفرة خوثة، أهل مكر وتدليس (٢).

«وإظهار الاسم الجليل «الله» لتأكيد الأمر... وإعادة ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ لتأكيد التحذير بتحويل الخطب» (٣).

وفي موضع آخر يأمر ﷻ عباده المؤمنين باتقاء الفتنة، التي إذا حلّت عمّت الظالم وغيره، ما لم يحصل منهم إنكاراً وتغيير (٤)، كما

(١) انظر الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن الكريم ص ٣٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٣٠.

(٣) تفسير أبو السعود ٣/٤٦.

(٤) تفسير الطبري ١١/١١٥.



قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

والنهي في قوله تعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ تأكيدٌ للأمر باتقاء الفتنة، مع زيادة التحذير بشمولها مَنْ لم يكن من الظالمين (١).

٢ - أسلوب النهي، حيث جاء النهي عن الافتتان بالشیطان، كما قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتَهُمَا إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَأَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله ﷻ بني آدم أن يغتروا بإبليس وجنوده، مبيناً لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم ﷺ، وسعيه في إخراجه من الجنة (٢).

والنهي هنا وإن كان متوجهاً إلى الشيطان، فهو في الحقيقة متوجهٌ إلى المخاطبين كما في قولك: لا أريتك ههنا، مبالغة في النهي، والمقصود: لا تمكّنوا الشيطان من أن يفتنكم (٣).

٣ - أسلوب الوعيد، حيث توعد الله تعالى الكفار الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات (وهم أهل الأخدود) (٤) فأحرقوهم بالنار، بعذاب

(١) انظر التحرير والتنوير ٣١٨/٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١٥/١١.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣٢/١٠، وتفسير ابن كثير ٤٠٢/٣.

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: إن هذه الآية في مشركي قريش، والمراد بالفتنة: الامتحان والتعذيب، ويقوّي هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ =

جهنم، وعذاب الدنيا المحرق^(١)، جزاءً لهم على عملهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا لَمْ يَنْتَهِوا عَنْ ذَمِّ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري: «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»^(٢).

٤ - أسلوب الاستفهام الإنكاري، كما قال تعالى مخاطبًا المنافقين المصريين على نفاقهم وعنادهم: ﴿أَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

قال ابن عاشور: «والاستفهام هنا إنكارٌ وتعجيب؛ لعدم رؤيتهم فتنتهم فلا تعقبها توبتهم ولا تذكّرهم أمر ربهم.

والغرض من هذا الإنكار هو الاستدلال على ما تقدم، من ازدياد كفر المنافقين وتمكّنه كلما نزلت سورة من القرآن، بإيراد دليل واضح يُنزّل منزلة المحسوس المرئي، حتى يتوجه الإنكار على من لا يراه. والفتنة: اختلال نظام الحالة المعتادة للناس واضطراب أمرهم، مثل الأمراض المنتشرة، والتقاتل، واستمرار الخوف»^(٣).

= لأن أصحاب الأُخود قد عَلِمَ أنهم ماتوا على كفرهم». انظر: تفسير ابن جرير ٢٤/٢٨٠، تفسير ابن عطية ٥/٤٦٢، تفسير الماوردي ٦/٢٤٢، تفسير القرطبي ١٩/٢٩٥، تفسير ابن كثير ٨/٢٧١، التحرير والتنوير ٣٠/٢٤٥.

(١) رُوي أن النار خرجت فأحرقت الكافرين القعود، وقيل: إن عذاب الحريق كائن في الآخرة، فهو قدرٌ زائدٌ على عذاب كفرهم بسبب إحراقهم المؤمنين.

انظر: تفسير ابن عطية ٥/٤٦٢، تفسير القرطبي ١٩/٢٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/٢٧١. (٣) التحرير والتنوير ١١/٦٧.



وفي آية أخرى ينكر الله تعالى على مَنْ يظنُّ أن الناس يُتْرَكُونَ من غير ابتلاء وتمحيص، يقول ﷺ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

قال أبو السعود: «قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ: أَحْسِبُوا أَنفُسَهُمْ مَتْرُوكِينَ بِلَا فِتْنَةٍ، بِمَجْرَدِ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا، أَوْ أَنْ يُقَالَ: أَحْسِبُوا تَرْكَهُمْ غَيْرَ مَفْتُونِينَ بِقَوْلِهِمْ آمَنَّا حَاصِلًا مَتَحَقِّقًا، وَالْمَعْنَى: إِنْكَارِ الْحِسْبَانِ الْمَذْكُورِ وَاسْتِبْعَادِهِ، وَتَحْقِيقِ أَنَّهُ تَعَالَى يَمْتَحِنُهُمْ بِمَشَاقِّ التَّكَالِيفِ كَالْمُهَاجِرَةِ وَالْمُجَاهِدَةِ، وَرَفْضِ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ، وَوِظَائِفِ الطَّاعَاتِ، وَفَنُونِ الْمَصَائِبِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ؛ لِيَتَمَيَّزَ الْمَخْلُصُ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَالرَّاسِخُ فِي الدِّينِ مِنَ الْمَتَزَلِّزِ فِيهِ، وَيُجَازِيَهُمْ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ أَعْمَالِهِمْ»^(١).

٥ - أسلوب الدعاء، كما ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم، ومن آمن معه أنهم دعوا الله تعالى ألا يجعلهم فتنة للكافرين، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْرِفْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٥].

قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذِكْرُهُ مَخْبِرًا عَنْ قَبِيلِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ: يَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ، فَجَحَدُوا وَحَدَانِيَتِكَ، وَعَبَدُوا غَيْرَكَ، بَأَنْ تَسَلِّطَهُمْ عَلَيْنَا، فَيُرُوا أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَا عَلَى بَاطِلٍ، فَتَجْعَلْنَا بِذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ»^(٢).

وأخبر ﷺ عن قوم موسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنهم دعوا ربهم فقالوا: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]، أي لا تنصرهم

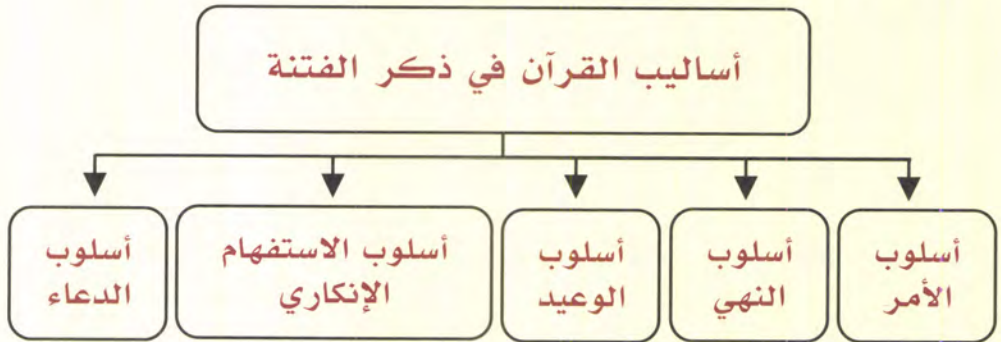
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٥٦٩.

(١) تفسير أبي السعود ٧/٢٩.

علينا، فيكون ذلك فتنةً لنا عن الدين، وقيل: المعنى: لا تنصر وتسلبّ أعداءنا علينا، فيظنّوا أنهم على حق، فيكون ذلك فتنةً لهم^(١)، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين^(٢).

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أن يتعوذوا من الفتن، فقال لهم: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتْنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن^(٣).

فينبغي للمسلم أن يلازم هذا الدعاء، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن وتنوعت، نسأل الله العافية^(٤).



(١) انظر تفسير الطبري ٢٥١/١٢، وتفسير القرطبي ٣٧٠/٨.

(٢) انظر تفسير السعدي ص ٣٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢١٩٩/٤ (ح ٢٨٦٧).

(٤) قال النووي: «وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة، المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن، والباطن في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العافية العامة لي ولأحبائي ولجميع المسلمين» شرح صحيح مسلم ٤٦/١٢.

أسئلة وتدريبات على القسم الثاني

أولاً: الأسئلة النظرية:

[س١]:

عرّف الشُّركَ لغةً واصطلاحًا.

[س٢]:

اذكر مراتب الشرك ممثلاً لها.

[س٣]:

بيّن معالم حديث القرآن الكريم عن الشرك.

[س٤]:

اذكر ثلاثة من أسباب الشرك الواردة في القرآن الكريم مع الاستدلال لكل واحد منها بآية.

[س٥]:

من أساليب القرآن الكريم في النهي عن الشرك: قصص الأنبياء والأمم السابقة، مثل لذلك بمثالين.

[س٦]:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

من مظاهر الشرك الواردة في القرآن الكريم:

أ - السّحر.

ب - الحلف بغير الله.

ج - تعليق التمام.

د - كل ما سبق.

[٧س]:

ما رأيك في العبارة التالية: لم يَرِدْ في القرآن الكريم وصف شيء من المخلوقات بالبركة، وعلى هذا لا يشرع التبرُّك بالمخلوق مطلقاً.

[٨س]:

هل آثار الشرك الواردة في القرآن الكريم حاصلة في الدنيا أو في الآخرة، وضح ذلك.

[٩س]:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ما وجه دلالة هذه الآية على خطر الشرك وعظم أثره.

[١٠س]:

تحدث عن سورة المجادلة مبيناً: أسماءها، ومكان نزولها، وسبب نزول فاتحتها، وعدد آياتها، ومقصدتها.

[١١س]:

اذكر ثلاثة من موضوعات سورة المجادلة، مبيناً وجه ارتباطها بمقصد السورة.

[١٢س]:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:



قوله تعالى ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المقصود به يفسح لكم في:

أ - الرزق.

ب - القبر.

ج - الصدر.

د - كل ما سبق.

[س١٣]:

اذكر ثلاثة من معاني الفتنة الواردة في القرآن، مع الاستدلال لها.

[س١٤]:

وَرَدَتْ كَلِمَةٌ (الْفِتْنَةُ) فِي الْقُرْآنِ بِتَصْرِيْفَاتٍ وَصِيغٍ مُتَنَوِّعَةٍ، اذْكَرْ ثَلَاثًا مِنْهَا مَعَ اسْتِدْلَالٍ لَهَا.

[س١٥]:

ما رأيك في العبارة التالية: (الفتنة بالخير والرخاء أكثر ورودًا واستعمالاً في القرآن الكريم؛ لأن الإنسان قد لا يشعر بها).

ثانياً: التدريبات العملية:

[س١]:

فَسِّرْ أَحَدَ الْمَوْضُوعَاتِ التَّالِيَةِ تَفْسِيرًا مَوْضُوعِيًّا، مُلْتَزِمًا بِمَنْهَجِ وَإِجْرَاءَاتِ الْكِتَابَةِ فِي الْمَوْضُوعِ الْقُرْآنِيِّ: الْحَجَّ، بُرُّ الْوَالِدِينَ، التَّوْبَةَ، قِصَّةَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[س٢]:

فَسِّرْ أَحَدَ السُّورِ التَّالِيَةِ تَفْسِيرًا مَوْضُوعِيًّا مُلْتَزِمًا بِمَنْهَجِ وَإِجْرَاءَاتِ الْكِتَابَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ فِي السُّورَةِ الْقُرْآنِيَّةِ: الْأَنْفَالِ، الْفَتْحِ، ق، الْجُمُعَةِ، عَبَسَ.

[س٣]:

أدرُس مفردة (الأُمَّة) في القرآن الكريم، دراسةً موضوعيةً، ملتزمًا بمنهج إجراءات الكتابة في المفردة القرآنية.



الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أُجْمِلُ أهمَّ النتائج التي توصلتُ إليها فيما يلي:

١ - التفسير الموضوعي هو أحد أساليب التفسير، والمقصود به: الكشف الكلي عن موضوع من موضوعات القرآن، وفق منهج مخصوص.

٢ - التفسير الموضوعي أسلوبٌ جيدٌ نافعٌ في بيان معاني القرآن الكريم سواءً كان في مجال الكتابة أم في مجال المحاضرة، ولا سيما في علاج القضايا المعاصرة وبيان هُدَى القرآن فيها.

٣ - بالغَ عددٌ من الباحثين المعاصرين في أهمية التفسير الموضوعي، وفي سياق ذلك هَوَّنوا من شأن التفسير التحليلي، وأطلقوا عليه: التفسير الموضوعي، والتجزئي، والتقليدي، وزعموا أنه وسيلة لغاية، هي التفسير الموضوعي، إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة التي لا تخفى على ناظر في كتب التفسير التحليلي، ومناهج المفسرين فيه في جميع القرون.

٤ - التفسير الموضوعي بهذا المفهوم والمنهج لم يظهر إلا في العصر الحاضر، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أما مُطْلَقُ الجمع للآيات، وبيان بعضها ببعض فهو موجود منذ أن نشأ التفسير.

٥ - هناك عدة مجالات للتفسير الموضوعي بعضها محلّ خلاف،



والذي ترجّح لي منها اثنان هما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية.

٦ - التفسير الموضوعي له منهج خاص في الكتابة، وخطوات إجرائية لا بد من الالتزام بها، في الجمع والدراسة والصياغة.

٧ - عِلْمُ المناسبات له ارتباط وثيق بالتفسير الموضوعي، فهو يُعَيِّنُ على فهم المعنى العام للآيات، والأغراض والموضوعات التي تتحدث عنها.

٨ - من المسائل المهمّة في التفسير الموضوعي ما يسمّى الوَحْدَة الموضوعية في القرآن الكريم، ولا سيما في مجال دراسة السورة ومعرفة مقصدها، وهي محلّ خلاف بين أهل العلم، والأظهر - والله أعلم - أن السور الطويلة لها أكثر من مقصد، وأما السور القصيرة فقد يكون لها غرض واحد، لكن يبقى تحديده محلّ اجتهاد. وأخيرًا أوصي بما يلي:

١ - توظيف أسلوب التفسير الموضوعي في تقريب معاني القرآن الكريم لعامة الناس، وإبراز هدايات لهم، ومعالجة القضايا المعاصرة من خلاله، سواءً كان ذلك في مجال الكتابة أم في مجال الخطبة والمحاضرة.

٢ - الالتزام بضوابط الكتابة المعروفة في التفسير الموضوعي قدر الإمكان.

٣ - التوسّط في بيان أهمية التفسير الموضوعي، وعدم التّهوين من شأن التفسير التحليلي، وصرف الناس عن دراسته والاشتغال به.



المدخل إلى التفسير الموضوعي

٢٣٦

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين.



فهرس المراجع

- [١] اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، لمحمد إبراهيم شريف، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- [٢] اختيارات ابن تيمية في التفسير، من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم جمعاً ودراسة، للمؤلف: إبراهيم بن صالح الحميضي، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- [٣] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- [٤] أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- [٥] إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- [٦] الإخلاص والشرك الأصغر، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الوطن، الرياض.
- [٧] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٨] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار الفكر، بيروت.

- [٩] أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: ماهر الفحل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار الميمان، الرياض.
- [١٠] الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- [١١] أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- [١٢] أصول في التفسير، للعثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- [١٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (تفسير محمد الأمين الشنقيطي)، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- [١٤] إعراب القرآن للنحاس، لأبي جعفر النَّحَّاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- [١٥] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دار الجيل، بيروت.
- [١٦] إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.
- [١٧] الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، المؤسسة السعيدية، الرياض.
- [١٨] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار راسم، جدة.
- [١٩] الإيمان، لابن تيمية، تحقيق: محمد الزبيدي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

- [٢٠] البحر المحيط (تفسير أبي حيان الأندلسي)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٢١] بدائع الفوائد، لابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٢٢] البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- [٢٣] البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٢٤] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت.
- [٢٥] بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام مع شرحه سبل السلام، للصنعاني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة.
- [٢٦] البيان القرآني، لليومي، مجمع البحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
- [٢٧] البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- [٢٨] التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
- [٢٩] التبرك، أنواعه وأحكامه، لناصر بن عبد الرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، مكتبة الرشد، الرياض.



- [٣٠] التبرك المشروع والتبرك الممنوع، لعلي العلياني، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الوطن، بيروت.
- [٣١] الترغيب والترهيب، للمنذري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، مكتبة الباز، مكة.
- [٣٢] التعريفات، للجرجاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٣٣] تغليق التعليق، لابن حجر، تحقيق: عبد الرَّحْمَن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- [٣٤] تفسير آيات أشكلت، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- [٣٥] التفسير أساسياته واتجاهاته، لفضل حسن عباس، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- [٣٦] تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- [٣٧] تفسير السعدي، تيسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرَّحْمَن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، كما تم الرجوع لطبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ، في موضوع الشرك.
- [٣٨] تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- [٣٩] تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، لعبد الرَّحْمَن ابن محمد بن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة

نزار الباز، مكة.

[٤٠] تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، في موضوع الشرك.

[٤١] التفسير الكبير: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٤٢] تفسير الماوردي، النكت والعيون، لأبي الحسن علي الماوردي، راجعه: عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

[٤٣] تفسير المراغي، لمحمد بن مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٤٤] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، لروضة عبد الكريم فرعون، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

[٤٥] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الفكر، بيروت.

[٤٦] التفسير الموضوعي، لأحمد الكومي ومحمد القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

[٤٧] التفسير الموضوعي بين التأصيل والتمثيل، لزيد عمر العيص، دار الحديث، الرياض، الطبعة الثانية.

[٤٨] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، لصلاح الدين الخالدي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.



- [٤٩] التفسير الموضوعي في الرسائل الجامعية، لأحمد حسن فرحات، بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المعقود بجامعة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، عام ١٤٣١هـ.
- [٥٠] التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، لزياد الدغامين، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- [٥١] تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- [٥٢] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، لعبد العزيز الضامر، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- [٥٣] تنوير العقول والأذهان، لسليمان اللاحم، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- [٥٤] تهذيب اللغة، للأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- [٥٥] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- [٥٦] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لعبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٨هـ.
- [٥٧] التيسير في قواعد علم التفسير، للكافي، تحقيق: ناصر المطرودي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- [٥٨] جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، في موضوع الشرك.

- [٥٩] جامع الرسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار المدني، جدة.
- [٦٠] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان، القاهرة.
- [٦١] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، كما تم الرجوع لطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، في موضوع الشرك.
- [٦٢] حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- [٦٣] الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار طيبة، الرياض.
- [٦٤] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- [٦٥] درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- [٦٦] دراسات في التفسير الموضوعي، لظاهر الألمعي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
- [٦٧] دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، لأحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.



- [٦٨] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طبعة دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- [٦٩] الدر النضيد في إ خلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.
- [٧٠] الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لجيلان العروسي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- [٧١] دلائل النظام، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- [٧٢] الرد على البكري، لابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، الدار العلمية، دلهي.
- [٧٣] تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ، دار الوطن، الرياض.
- [٧٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير محمد الألوسي البغدادي)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٧٥] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار الصميعي، الرياض.
- [٧٦] رياض الصالحين، للنووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- [٧٧] زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت.

[٧٨] زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٧٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

[٨٠] سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، إعداد وتعليق: عزت الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، دار الحديث، بيروت.

[٨١] سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

[٨٢] سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٨٣] السنن الكبرى، للبيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.

[٨٤] سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن النسائي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

[٨٥] شأن الدعاء، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: يوسف الدقاق، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار الثقافة العربية.

[٨٦] شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين، عنيزة.



- [٨٧] شرح حديث ما ذئبان جائعان، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مؤسسة الريان، بيروت.
- [٨٨] شرح نواقص التوحيد، لحسن العواجي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة لينة، دمنهور.
- [٨٩] الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه، لعبد الله السليم، رسالة ماجستير مطبوعة بالحاسب الآلي، جامعة الإمام، قسم العقيدة.
- [٩٠] الشرك الأكبر، حقيقته وحكمه وأنواعه، لأسماء السلطان، رسالة الماجستير مطبوعة بالحاسب الآلي، جامعة الإمام، قسم العقيدة.
- [٩١] الشرك وأنواعه، لجفري أفندي وهاب، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة، الجامعة الإسلامية، قسم العقيدة.
- [٩٢] صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (مع فتح الباري) أخرجه وصححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- [٩٣] صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- [٩٤] صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- [٩٥] صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة الإسلامية، إستانبول.
- [٩٦] صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية بيروت.
- [٩٧] الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة ابن حزم، بيروت.



- [٩٨] صراع بين الحق والباطل، لسعيد صادق محمد، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [٩٩] ضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- [١٠٠] ضوابط التكفير عن أهل السُّنَّة والجماعة، لعبد الله بن محمد القرني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- [١٠١] عالم السحر والشعوذة، لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، دار النفائس، الأردن.
- [١٠٢] العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٤م.
- [١٠٣] علم المناسبات بين المجيزين والمانعين، لإبراهيم بن سليمان الهويمل، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام بالرياض، عدد ٢٥، محرم ١٤٢٠هـ.
- [١٠٤] علم مقاصد السور، لمحمد الربيعة، مركز البحوث الشرعية، جامعة القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- [١٠٥] العواصم من الفتن في سورة الكهف، لعبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.
- [١٠٦] غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكُرْمَانِي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى.
- [١٠٧] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، صححه وأخرجه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.



[١٠٨] فتح القدير الجامع فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الحديث، القاهرة.

[١٠٩] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرَّحْمَن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

[١١٠] الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن الكريم، لعبد الحميد بن عبد الرَّحْمَن السحبياني، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى.

[١١١] الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

[١١٢] فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد معروف، دار الغرب، تونس، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

[١١٣] القاموس المحيط، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب، بيروت.

[١١٤] قرّة عيون الموجددين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرَّحْمَن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، مكتبة المؤيد، الرياض.

[١١٥] القرآن والقتال، لمحمود شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥١م.

[١١٦] القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبد الرَّحْمَن السعدي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الوطن، الرياض.



- [١١٧] القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار العاصمة، الرياض.
- [١١٨] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- [١١٩] لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله عبد الكبير وزميليه، دار المعارف، القاهرة.
- [١٢٠] لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [١٢١] مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار التدمرية، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- [١٢٢] مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- [١٢٣] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه: محمد، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- [١٢٤] مجموعة التوحيد النجدية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- [١٢٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كما تم الرجوع لطبعة المجلس العلمي بفاس، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.



[١٢٦] مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.

[١٢٧] مدارج السالكين، لابن القيم، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[١٢٨] المدخل إلى التفسير الموضوعي، لعبد الستار فتح الله سعيد، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر.

[١٢٩] مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي، تحقيق: عبد المحسن العسكرو، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

[١٣٠] المدرسة القرآنية، لمحمد باقر الصدر، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٣٤.

[١٣١] المستدرک علی الصحیحین، للحاکم، دار المعرفة، بیروت.

[١٣٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف علی تحقیقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

[١٣٣] المسند، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

[١٣٤] مصاعد النظر للإشراف علی مقاصد السور، للبقاعي، مكتبة المعارف الرياض، تحقيق: عبد السميع حسنين، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

[١٣٥] مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، الدار العربية بيروت.



- [١٣٦] المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الرَّحْمَن ابن محمد الحجيلي، ضمن أبحاث (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم)، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- [١٣٧] معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ الحكمي، مكتبة حميدو، الإسكندرية.
- [١٣٨] معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأحمد محمد الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار المعرفة، بيروت.
- [١٣٩] المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار الحديث، القاهرة.
- [١٤٠] معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- [١٤١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل بيروت، ١٤٠٨هـ.
- [١٤٢] المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، لأحمد مختار عمر، مؤسسة سطور المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- [١٤٣] المعجم الوسيط، إعداد: جماعة من الباحثين، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.
- [١٤٤] المغني، لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار هجر، القاهرة.
- [١٤٥] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار العلم، دمشق.



[١٤٦] مقاصد المكلفين، لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، دار النفائس، الأردن.

[١٤٧] مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

[١٤٨] مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[١٤٩] منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، لسامر رشواني، دار الملتقى، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

[١٥٠] منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، لإبراهيم الحميضي، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

[١٥١] منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية تأصيل ونقد، لجهاد محمود النصيرات، بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المعقود بجامعة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، عام ١٤٣١هـ.

[١٥٢] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

[١٥٣] النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

[١٥٤] النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت.



- [١٥٥] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- [١٥٦] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- [١٥٧] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.
- [١٥٨] نواقض الإسلام القولية والعملية، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.
- [١٥٩] الوجوه والنظائر للدماغاني، تحقيق فاطمة الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- [١٦٠] الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان، تحقيق حاتم الضامن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.



فهرس الموضوعات



- مقدمة ٥
 أهداف مقررّ التفسير الموضوعي ٩

القسم الأول: التأصيل - ١١

- المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي** ١٣
 أولاً: التعريف اللغوي: ١٣
 ثانياً: التعريف الاصطلاحي: ١٤
 ثالثاً: أساليب التفسير وصلة التفسير الموضوعي بها: ١٥
 أولاً: التفسير التحليلي: ١٥
 ثانياً: التفسير الإجمالي: ١٦
 ثالثاً: التفسير المُقَارَن: ١٦
 رابعاً: التفسير الموضوعي: ١٧
المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي وفوائده ١٩
 تنبيه: ٢٠
المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي، وأهم المؤلفات فيه ٢٣
المبحث الرابع: مجالات التفسير الموضوعي ٣٠
 المجال الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم: ٣٠
 المجال الثاني: تفسير سورة تفسيرًا موضوعيًا: ٣١
 المجال الثالث: تفسير مصطلح أو مفردة مُعَيَّنَةٍ من خلال القرآن الكريم: ٣٢



- المجال الرابع: دراسة موضوع في سورة معينة: ٣٣.....
- المجال الخامس: دراسة الأدوات الواردة في القرآن الكريم: ٣٤..
- المجال السادس: المقالة القرآنية القصيرة: ٣٤.....
- المبحث الخامس: خطوات البحث والكتابة في التفسير الموضوعي ٣٦**
- أولاً: خطوات الكتابة في الموضوع القرآني: ٣٦.....
- ثانياً: خطوات البحث والكتابة في تفسير السورة القرآنية تفسيرًا موضوعيًا: ٤٢.....
- تنبيه: ٤٧.....
- ثالثاً: خطوات الكتابة في المفردة القرآنية: ٤٥.....
- المبحث السادس: علم المناسبات، وعلاقته بالتفسير الموضوعي ٤٩**
- تعريف علم المناسبات: ٤٩.....
- أهمية علم المناسبات وفائدته: ٥٠.....
- نشأة علم المناسبات، وأهم المؤلفات فيه: ٥١.....
- أقوال العلماء في علم المناسبات: ٥٣.....
- طريق معرفة المناسبات بين الآيات: ٥٦.....
- أنواع المناسبات: ٥٧.....
- أولاً: المناسبات في السورة الواحدة: ٥٧.....
- ١ - المناسبة بين الآيات بعضها لبعض: ٥٧.....
- ٢ - المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة: ٥٨.....
- ٣ - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها: ٥٩.....
- ٤ - المناسبة بين اسم السورة ومضمونها: ٦٠.....
- ثانياً: المناسبات بين السور: ٦١.....
- الأول: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها: ٦١.....
- الثاني: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها: ٦٢.....



- المبحث السابع: الوَحْدَةُ الموضوعية في القرآن الكريم ٦٤
- النوع الأول: وَحْدَةُ الموضوع القرآني: ٦٤
- النوع الثاني: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية: ٦٥
- الفرق بين «موضوعات السورة» و«مقصود السورة»: ٦٥
- أهمية العناية ببيان الوحدة الموضوعية للسورة، وجهود العلماء في ذلك: ٦٦
- طريق معرفة مقصد السورة: ٦٩
- تنبيه: ٦٩
- أسئلة وتدريبات على القسم الأول ٧١
- أولاً: الأسئلة النظرية: ٧١
- ثانياً: التدريبات العملية: ٧٣

القسم الثاني: نماذج تطبيقية في التفسير الموضوعي - ٧٥

- تمهيد ٧٩
- مدخل ٨١
- تعريف الشُّرْكَ، ومراتبه، وحديثُ القرآن عنه ٨١
- تعريف الشُّرْكَ في اللغة: ٨١
- تعريف الشرك في الشرع: ٨١
- الفرق بين الكفر والشرك: ٨٢
- مراتب الشرك: ٨٢
- تعريف الشرك الأكبر: ٨٣
- تعريف الشرك الأصغر: ٨٣
- الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر: ٨٣
- حديث القرآن عن الشرك: ٨٤

- مدخل ٨٩
- المبحث الأول: الإعجاب والتعظيم والغلو في المخلوقين** ٩١
- المبحث الثاني: التقليد** ٩٥
- أنواع التقليد في القرآن الكريم: ٩٦
- النوع الأول: التقليد المحمود، وينقسم إلى قسمين: ٩٦
- النوع الثاني: التقليد المذموم، والذي هو من أكبر أسباب الشرك،
وينقسم إلى قسمين: ٩٦
- المبحث الثالث: اتباع الهوى** ١٠٠
- المبحث الرابع: الكبر** ١٠٣
- لمبحث الخامس: إهمال العقل، وعدم التفكر في آيات الله تعالى** ١٠٧
- آيات الله تعالى التي أمر بالتفكر فيها نوعان: ١٠٩
- المبحث الأول: مظاهر الشرك الاعتقادية في ضوء القرآن الكريم** ١١٣
- المطلب الأول: شرك المحبة: ١١٣
- أقسام المحبة: ١١٣
- الشرك في المحبة: ١١٦
- المطلب الثاني: شرك الخوف: ١١٧
- الخوف من غير الله ﷻ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ١١٧
- الشرك في الخوف: ١٢٠
- المطلب الثالث: الرياء: ١٢١
- أقسام الرياء: ١٢٣
- المطلب الرابع: التبرك: ١٢٤
- أقسام التبرك: ١٢٦
- المبحث الثاني: مظاهر الشرك العملية في ضوء القرآن الكريم** ١٢٩
- المطلب الأول: الشرك في الطاعة: ١٢٩



- ١٣٣..... أقسام شرك الطاعة:
- ١٣٤..... المطلب الثاني: السحر:
- ١٣٧..... أنواع السحر، وآثاره، وعلاجه:
- ١٣٩..... المبحث الثالث: مظاهر الشرك القولية في ضوء القرآن الكريم**
- ١٣٩..... المطلب الأول: شرك الدعاء:
- ١٤١..... أقسام الدعاء في القرآن الكريم:
- ١٤٦..... المطلب الثاني: نسبة النعم إلى غير الله:
- ١٥٠..... أقسام نسبة النعم إلى غير الله:
- ١٥٥..... المبحث الأول: الشرك أعظم الذنب، وأظلم الظلم**
- ١٦٠..... المبحث الثاني: الشرك يهدر الدم والمال**
- ١٦٣..... المبحث الثالث: الشرك محبط لجميع الأعمال**
- ١٦٦..... المبحث الرابع: تحريم الجنة على المشرك، وخلوده في النار**
- ١٧٣..... التعريف بـ«السورة»:
- ١٧٣..... أولاً: أسماء السورة:
- ١٧٣..... ثانياً: عدد آيات السورة:
- ١٧٤..... ثالثاً: موضع نزولها:
- ١٧٤..... رابعاً: سبب نزولها:
- ١٧٤..... خامساً: موضوعات السورة:
- ١٧٥..... سادساً: فضائل السورة:
- ١٧٥..... سابعاً: محور السورة ومقصدها:
- ١٧٦..... ثامناً: مناسبات السورة:
- ١٨١..... الموضوع الأول: حكم كفارة الظَّهار**
- ١٨١..... سبب نزول الآيات:
- ١٨٢..... العرض الإجمالي للآيات:

- ١٨٤ هدايات وفوائد الآيات:
- ١٨٦ الموضوع الثاني: جزاء الذين يُعادون الله ورسوله ﷺ**
- ١٨٦ مناسبة الآيات لما قبلها:
- ١٨٧ العرض الإجمالي للآيات:
- ١٨٨ هدايات وفوائد الآيات:
- ١٨٩ الموضوع الثالث: آداب المناجاة بين المؤمنين**
- ١٨٩ مناسبة الآيات لما قبلها:
- ١٨٩ سبب نزول الآيات:
- ١٩٠ العرض الإجمالي للآيات:
- ١٩٢ هدايات وفوائد الآيات:
- ١٩٣ الموضوع الرابع: أدب المجالس**
- ١٩٣ مناسبة الآية لما قبلها:
- ١٩٣ سبب نزول الآية:
- ١٩٤ العرض الإجمالي للآية:
- ١٩٥ هدايات وفوائد الآية:
- ١٩٦ الموضوع الخامس: الأمر بالصدقة عند مناجاة النبي ﷺ**
- ١٩٦ مناسبة الآيتين لما قبلهما:
- ١٩٦ سبب نزول الآية:
- ١٩٧ العرض الإجمالي للآيتين:
- ١٩٨ هدايات وفوائد الآيتين:
- ١٩٩ الموضوع السادس: بيان حال المنافقين الموالين لليهود**
- ١٩٩ مناسبة الآيات لما قبلها:
- ١٩٩ سبب نزول الآيات:
- ٢٠٠ العرض الإجمالي للآيات:



- ٢٠١ هدايات وفوائد الآيات: **الموضوع السابع: بيان عاقبة المعادين لله ورسوله ﷺ، وجزاء المؤمنين الصادقين** ٢٠٢
- ٢٠٢ مناسبة الآيات لما قبلها: ٢٠٢
- ٢٠٢ العرض الإجمالي للآيات: ٢٠٢
- ٢٠٣ هدايات وفوائد الآيات: ٢٠٣
- ٢٠٩ **المبحث الأول: المعاني اللغوية للفتنة** ٢١١
- ٢١١ **المبحث الثاني: معنى «الفتنة» اصطلاحاً** ٢١٣
- ٢١٣ **المبحث الثالث: معاني «الفتنة» في القرآن الكريم** ٢٢٠
- ٢٢٠ **المبحث الرابع: أنواع الفتنة في القرآن الكريم** ٢٢١
- ٢٢١ النوع الأول: الفتنة بالشرِّ والشدة: ٢٢٢
- ٢٢٢ النوع الثاني: الفتنة بالخير والرخاء: ٢٢٥
- ٢٢٥ **المبحث الخامس: أساليب القرآن في ذكر الفتنة** ٢٣٠
- ٢٣٠ أسئلة وتدريبات على القسم الثاني ٢٣٠
- ٢٣٠ أولاً: الأسئلة النظرية: ٢٣٢
- ٢٣٢ ثانياً: التدريبات العملية: ٢٣٤
- ٢٣٤ الخاتمة ٢٣٧
- ٢٣٧ فهرس المراجع ٢٥٤
- ٢٥٤ فهرس الموضوعات

